جذور وفروع

مجموعة قصصية

جذور وفروع

تأليف : أسـامة حراكي

الإخراج الداخلي : إسلام الحماقي

تصميم الغلاف : مصطفى أبو مسلم

مصممة الطبعات السابقة : مي علي

مدير النشر: أحمد خطاب

رقم الإيداع: 26460 - 2017

الترقيم الدولى: 978-977-6598-37-9

الطبعة الثالثة: 2017

إشراف عام : أحمد عبد الجواد

مؤسسة عابر للنشر والتوزيع

01007677910 - 01111883712

3aberorg@gmail.com

www.3aber.org

عابر 3aber

جميع الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

جذور وفروع

أسامة حراكي

إهداء

إلى من يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

مقـــــدمة

جذور وفروع مجموعة من القصص الواقعية التي أردت بكتابتها معالجة بعض عيوبنا الاجتماعية التي نعاني منها، وقد خففت في كتابتها من وطأة البناء القصصي، وأجريت قلمي في الانتقال السريع بين مشهد وآخر ومن قصة لأخرى، وما صنعت جديداً في هذا الكتاب، ولم أجود في صياغة قصصية، بل تركت قلمي على سجيته يسجل حوادث القصص كما شاهدتها بدون تكليف ولا زيادة، فكان الكتاب مجموعة حكايات واقعية، فكل جريمة لها عقاب، ومن ينجو من عقاب البشر فلن ينجو من عقاب خالق البشر، والمجتمع المثالي يتكون من أفراد مثاليين، يخضعون لرقابة ضمائرهم لا لرقابة القانون، فربما تخفق رقابة القانون بينما لا يخفق الضمير الحي في رقابته العادلة، وهذه القصص محاولة لإحياء بعض الضمائر الميتة لتستعيد الحياة من جديد، وحياة المرء تنتهي بالموت، وحياة الدنيا محدودة، وحياة

الآخرة بلا حدود، فلا ينبغي أن نعمل لحياة فانية، وعلينا أن نعمل لحياة باقية، فإن استطعت أن أروي بعض الجذور لأحي بعض الضمائر في الفروع الميتة، فالفضل كله لله عز وجل يهدي من يشاء، وإلا فإن الأعمال بالنيات، ولكل امرئٍ ما نوى.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾

سورة إبراهيم (٢٤ – ٢٧)

صدق الله العظيم

العشيقة والنائب

في مدينة الإســكندرية ولدت وعاشت أحلام، كانت فتاة بسيطة وجميلة مثل سائر البنات أحلامهن محدودة وطموحاتهن بســيطة، بدأت تكبر ويزداد جمالها وتزداد طموحاتها، حتى أصبحــت فتاة صارخة الجمال وذات طموحات كبيرة، كانت تحلم بالشهادة الجامعية والوظيفة المناسبة وفتى الأحلام، لذلك تفوقت في دراستها الثانوية، ومكنها مجموعها من الالتحاق بكلية التجارة، ولأن الحب مثل الموت ومثل المولد فقد سقطت أحلام في حب زميلها في الكلية من أول نظرة، منذ أن تلاقت عيناها بعينيه، ونبض قلبها بحبه وكشــفت نظراتها له عن إعجابها به، تجرأ زميلها واقترب منها وصافحها وأخبرها عن اسمه وأخبرته هي عن اسمها.

العشيقة والنائب

أصبحت أحلام لا ترى عيناها أحداً إلا زميل دراستها، انه شاب ثري يأتي إلى الكلية بسيارته الفارهة، وتحاول العديد من البنات التقرب منه، ولكنها هي من فازت بالشاب الوسيم ابن العائلة الكبيرة كانت تخاف من أن يتركها فأصبحت طوع بنانه تلبي أي شيء يطلبه منها وتنفذه على الفور، وبعد أن كانت ترفض الخروج معه بسيارته بدأت تلتقي به في الشوارع الخلفية المجاورة للكلية ثم صار العاشق يطير بها إلى خارج المدينة وإلى الطرق المظلمة ويتوقفا بالسيارة تحت ضوء القمر ليتطارحا الغرام بعيداً عن عيون الناس، ثم أصبحت اللقاءات في شقه خاصة به، تنازلت أحلام له عن أشياء كثيرة وتوالت التنازلات حتى تحولت إلى عشيقه أكثر من كونها حبيبه وسمحت له في لحظة طيش أن يسلبها أغلى ما تملك الفتاة، وجلست بجواره باكيه تنهمر دموعها فوق خديها، بينما كان يمرر يده على رأسها وشعرها ثم وضعها على كتفها ووعدها بأنه لم ولن يتخلى عنها وسوف يصلح

غلطته، واحتواها بين ذراعيه بكلامه المعهود وحنانه حتى صمتت وتحول البكاء إلى ابتسامات وتسامح.

وبعد مده اكتشفت أنها حملت سفحاً منه، أخبرته بالمشكلة التي وقعت فيها، ففوجئت به يسبها ويقول لها لم اخذ منك شيئاً بالقوة، لقد كان كل شيء برضاك.

فسجدت أمامه على الأرض وقبلت قدمه وهي تطلب منه أن يرحمها ويستر عرضها، فأمسك بها من شعرها وجرها حتى باب الشقة وفتحه وقذف بها بقدمه للخارج، فتوجهت أحلام إلى أسرة زميلها الشيطان تستنجد بهم حتى يخلصوها مما هي فيه، فتنكروا لها وأمروا الخدم بطردها، وبدأت أعراض الحمل بالظهور وقبل أن ينكشف أمرها هربت إلى القاهرة خشيه من أن يقتلها أهلها.

وفي محطة مصر التقت أحلام بصائد النساء وقدمها إلى راقصه للعمل في إحدى الملاهي الليلية، وأسكنتها عندها وساعدتها على الإجهاض ثم حولتها إلى عاهرة تضاجع الرجال مقابل المال، ومل أهلها البحث عنها طويلا دون جدوى.

وأصبح يتردد على تلك الشقة الخبيثة الملعونة شاب يعمل موظفاً في إحدى الشركات الاستثمارية وكانت لا تعجبه من بين البنات سوى أحلام التي أصبحت تميل له، وفي كل مرة يلتقيان فيها يتحدثان في مواضيع عده بعد أن يفرغان من ما يقومان به، وفي إحدى اللقاءات حكت له عن قصتها وأنها غير راضية عن حياتها فسألها إن كانت تحب أن تعمل عملاً شريفاً فهو على استعداد أن يجد لها عملاً مناسباً في الشركة التي يعمل بها، حيث أن صاحب الشركة يريد سكرتيرة بدلاً من السكرتيرة التي تركت العمل، فقبلت على الفور واتفقا على ذلك.

لم تمض أياماً قليله حتى كانت أحلام قد عُينت سكرتيرة لصاحب الشركة وفي اليوم الأول لها في العمل جاء صاحب الشركة ودخل مكتبه وتبعته أحلام بالأوراق المهمة وأسماء من سألوا عنه ومن ينتظرونه، فراح يتأملها بهدوء تعود عليه مع النساء، فسألها هل أنتي متزوجة، فأجابت إني مطلقه، فسألها لماذا لم تتزوجي ثانياً وأنتي امرأة جميله، فأجابته لم أجد من يستحقني، فسألها هل عشتي

تجربه حب، قالت لم أجد من يغريني بحبه، فكل الرجال الذين مروا بي كانوا على سفر، سألها ما رأيك بالرجل المحترم لو خيرتي به وبين الشقة والسيارة والثروة فأجابت الشقة والسيارة والثروة تأتي بأكثر الرجال احتراماً.

خرجت أحلام من مكتبه إلى شقته الخاصة، بل إلى فراشه فعندما دخلت إلى بحر العشق لم يكن لديها فكرة عن السباحة في مياهه الغريقة، كانت تعلم أن سر جاذبيتها ومصدر ثرائها في جمالها، وكانت تؤمن أنه منجم أنوثتها ولافتة الدعاية لها.

ومن بعد ذلك اليوم أصبحت أحلام مديرة مكتبه وكاتمة أسراره وعشيقته ورفيقة رحلاته، وأصبحت تتقاضى مرتبها بالدولار، وغيرت غرفتها الإيجار البائسة بشقة فاخرة بالمهندسين، ويدفع إيجارها صاحب الشركة، وأصبحت تتردد على مراكز التجميل لتحافظ على ثروتها الجسدية.

ومرت شهور وقدم صاحب الشركة أوراقه للانتخابات في مجلس الشعب، ونجح وأصبح نائباً في البرلمان وأصبحت مسئولياته كثيرة.

وحول شخصيته كنائب، والمدة التي قضاها في البرلمان وما كان يثيره من زوابع ومشاحنات تحت قبة البرلمان ممثلاً للشعب، يصعب عليك أن تضبطه متلبساً بالصمت، فالراجح عنـده أن الصمت بالنسـبة لممثل الأمة في مجلس الشـعب جريمة لا تغتفر، فالواجب أن يتكلم، ويراودك شعور بالنصر حتى تشعر بأنك تكاد تحاصره في موضوع وظهره للحائط، فهو بين لحظة وأخرى قادر على النجاة من الحصار، ويقفز بك إلى أبعاد أخرى في القضية التي تسأله فيها، وقد تستسلم لما يطرحه من أفكار وتتنازل عما تراه صواب، فهو لديه مرونة تجعلك تتحالف معه فيما اتفقته مع غيرك عليه، ورغم كل ذلك فإني أعترف بفضله وأقر له بأنه صاحب انجازات النواب، فلا يكمن تجاهل استجواباته للعديد من الوزراء والمسـئولين، ولكن ليس بالاستجوابات وحدها يحيا النواب، فبعض نواب المجلس البعض ليس الكل، البعض منهم مشغولون بإثبات فساد بعض المسئولين وبعض الوزراء، أكثر من انشغالهم بإثبات مشاكل من ينوبون عنهم، فبعض هؤلاء الذين نصفهم بالنواب والمدافعين عن الشعب لا يشبعون مطالب، وهم دائماً لا يملون المطالبة بامتيازات وحقوق،فهم صناع

أزمات لا صناع حلول، وكل منهم يرى نفسه أنه على حق، وأنهم إذا حصلوا على المكاسب فإن هذا سيكون في صالح الشعب، فهم مشغولون بالمكاسب والصراخ الذي يسمونه نضال من أجل الشعب، فهم يصرخون بحثاً عمن يشترى سكوتهم، ولا تصدق أن مواقعهم أشبعتهم فهم لا يشبعون أبداً، ويعينهم على ذلك أناس برعوا في خلط الأوراق وتزييفها، وزينوا للسلطة سوء عملهم وقلبوا الحقائق رأساً على عقب، وعندما لا يحصلون منهم على الثمن ينقلبون عليهم، والشعب أصابه اليأس في بعض نوابه، ومع ذلك يعود لانتخابهم مرات ومرات وهم يعلمون جيداً ومتأكدون أنهم ليسوا في بال نوابهم وأمرهم لا يعنيهم، فهم لا يريدون إلا المكاسب والامتيازات.

وفي يوم دخلت أحلام لمكتب النائب، وهي تكشف أكبر مساحة ممكنة من صدرها، فنظر إليها بهدوء فارتبكت وشيء ما بداخلها جعلها تشعر أنه كشف ما هي قادمة إليه، فهو قادر على اختراقها وكشف ما فيها بمجرد نظرة، حيث لم تكن تقدر أن تكذب عليه، وإنها مكشوفة أمامه مثل المرآة، وهذا كان يؤلمها فإن المرأة أحياناً هي

التي تقدر بحكم اغريزتها على كشف ما يخفيه الرجل، ووزن ما يقوله لها من كذب ومن صدق، إلا أنها لا تملك ممارسة هذا معه، فهو يسيطر على كل شيء.

سألها في هدوء في حاجة، مدت يدها بورقة، فأخذها منها ونظر فيها ثم سألها أخذتي كم في هذا الطلب، فعجزت عن النطق ولم تستطع أن تنظر إلى وجهه، تذكرت عندما تكون في صدره بين ذراعيه لا ترى وجهه ولا تخاف منه، وهو يكون في أرق حالاته وأضعف ساعاته، لم تستطع أن ترد، لم تستطع أن تخبره عن المبلغ الذي ستأخذه إن وقع لها الطلب، فقال لها بهدوء: «هاجبلك امضت سيادة الوزير على الطلب» فعادت إلى هدوئها وهي صامتة وقال لها لو أخذتي أقل من ربع مليون جنيه يبقى حرام، فصعقت عندما سمعت المبلغ وفقدت النطق، وسرحت وهي تفكر بأن أقل من هذا حرام فعلاً، فقد وعدها صاحب الطلب بعشرين ألف جنيه، لقد كان من الممكن أن تطلب أكثر من ذلك كانت سارحة بخيالها في طريق الثروة الذي مشيت فيه، الذي بدأ بصفقة صغيرة لم تنل فيها قيمتها الحقيقية، لكن مشوار

الألف ميل يبدأ بخطوة، وهي قد بدأت بسرعة وتكاد تكون تجري وأفاقت عندما سمعته يهمس في أذنها وهو يرشق عينيه في صدرها، الليلة سنتفاهم.

في تلك الليلة أعطته من مشاعرها ما لم تعطيه من قبل فاختلط الحديد باللهب وانصهر اللحم في فرن الرغبة.

لم تعد مجرد عشيقة سيادة النائب يجب أن تستقل بنفسها وتكون ثروة لها، فمهما طالت سنوات العشق سيأتي عليها يوم وتنتهي، فالجمال سلعة قصيرة العمر، وعندما يرتبط بالسلطة يكون عمره أقصر، فالذي يملك السلطة يريد أن يملك كل شيء لا تكفيه امرأة واحدة، فإن كل امرأة يقابلها يشعر أنها له، وسيادة النائب من ذلك النوع يمكن أن يلقي بها في أي وقت ويستغني عنها دون تفسير وتبرير، وتصبح عشيقة سابقة مثله، فهو الآن نائب حالي وفي أي وقت يصبح نائب سابق، لا العشق يدوم ولا السلطة تدوم، وسيادة النائب يعمل حساب هذا اليوم، يسافر إلى الخارج تحت اسم الاتفاق على العمل لإحدى شركاته التي تستورد الأجهزة التكنولوجية، ليضع

ما جمعه من أموال حرام في حسابه هناك، وسيادة النائب ذكي يعمل حساباته بدقة فهو لا يلعب بالمناقصات ولا يقبل الهدايا، إنما يشتري قطعة أرض ويتركها بعض الوقت ليبيعها لصاحب مصلحة عنده بأضعاف أضعاف ثمنها، ويشترط أن تتم عملية البيع لشخص ثالث غير صاحب المصلحة ليصبح كل شيء قانونياً، كما يفعل هذا بالأسهم في البورصة يشتري الآلاف منها ويأتي صاحب المصلحة ليشتريها باسم شخص مجهول ويدفع فيها ما يريد أن يدفعه رشوة غير معلنة، لم يعد أحد غبي فاللص يسبق الشرطة في ابتكار أساليب الجريمة، وسيادة النائب يبتكر أساليبه للنجاة بأمواله الحرام.

ومرت السنوات و أموال سيادة النائب تزداد ومشاكله وألاعيبه تكثر، وكانت أحلام تكبر وتكبر معها مصالحها وأعمالها وأرصدتها في البنوك، وبعد فترة قررت أن تترك عملها في سكرتارية النائب وتفتح مكتباً للمحاسبة، ربما تكون نسيت التجارة لكن من قال بأنها تتعامل في الحسابات إنه مجرد واجهة وساتر، واختارت أرقى منطقة ليكون فيها المكتب، وأنفقت على تأسيسه أموالاً طائلة، وهي متأكدة

أنها ستجمع ما صرفته في أقصر وقت بفضل سيادة النائب الذي لم يعد يقتنع بأن جسدها يساوي كل ذلك، فأصبح لا ينسى نصيبه، ودون أن تدري هي تحولت إلى سمسارة له، كل من له مصلحة ويريد أن ينهيها يذهب لها وهي تتفاهم معه على الأتعاب، ثم تقتسم مع سيادة النائب، وعرف الجميع من أصحاب الحاجات أن الطريق إلى النائب يمر من خلالها، وفي أقل من عامين كانت تركب مرسيدس فاخرة وتملك أرضاً في أكتوبر وشقة فاخرة بالزمالك ورصيداً عالٍ من الدولارات في البنك، كان هذا نصيبها فكم كان نصيب سيادة النائب، ولكن أحلام لم تعد ثروتها تشعرها بالسعادة فالإنسان بطبيعته يبيع نفسه إلى الشيطان مقابل المال والشهرة والمكانة الاجتماعية، فإذا حصل عليها يشعر بأنه ضائع ويريد أن يعود إلى ما كان عليه من راحة بال وهدوء نفسي حتى لو فقد كل ما يملك، لأن لحظه واحده من الحب والحرية تساوي كنوز الدنيا، ولا أحد يقتنع بذلك إلا إذا جرب بنفسه أو مر بذلك، وأحلام الآن بحاجه إلى شخص تحبه ويحبها ويخاف عليها، وقد شعرت بهذا الشخص عندما وجدته أمامها في إحدى حفلات العمل، حيث دق قلبها دقات سريعة وغريبة عندما وقع نظرها عليه، ومن

اللحظة الأولى قررت أن تحصل عليه، فأدخلته لمجالها المغناطيسي وسحرته، وأحلام ساحرة بالفعل فلم تعد طفله لقد فقدت براءتها وأصبحت قادرة على أن تحصل على ما تريد من غير مجهود، ففسادها المالي والجنسي جعلها ذات خبرة، فلم يعد يقف أمامها أو يتعزز عليها رجل أو صفقه.

إن أصحاب الذمم والقلوب الفاسدة لا يستطيعون الحكم على مشاعرهم بدقه وصدق، ولا يقدرون على كشف عواطف الطرف الأخر، فالقلوب الفاسدة معظمها مقفلة بقفل ومفتاحه رمى به الشيطان في البحر وابتلعته سمكه، وأحلام لم تعد تملك مفتاح قلبها الذي يريد أن يحب، وقد أحبت هذه المرة بقلب صدئ، لم يستطع أن يكشف خداع الشاب الذي تأكد من أول لقاء أنه وقع على صيدٍ ثمين، امرأة تريد شاباً ومستعدة أن تدفع الثمن.

لم تمض أشهر على علاقتهما حتى أصبح الشاب مدير مكتبها ويعلم أسرارها وعلاقتها بسيادة النائب، الذي علم بعلاقتهما لكنه لم يغضب، فقد أصبحت أحلام بالنسبة له امرأة مستهلكه وفترة

صلاحيتها انتهت، كل ما يهمه أن تظل واجهه لصفقاته المشبوهة، لذلك لم يمانع من تقرب الشاب لها.

ولكن الشاب تقرب من النائب أكثر من أحلام، لأنه إستطاع ان يقدم له ما لم تقدمه أحلام، فقد كان يقدم له فتاة صغيره كل أسبوع فسيطر عليه أسرع، واستقل في الحصول على الطلبات بعيداً عنها وخلال عام واحد كان الشاب قد جمع ثروة طائلة حيث لم تعد أحلام تهتم بشيء سوى بالساعات التي تقضيها معه في فراشه، وفي إحدى الليالي التي كان يقضيها معها أقنعها أن يغسلا الثروة التي جمعاها بشرائهم أسهم من شركة معروفه في السوق.

وأشتريا الأسهم ووضعا فيها كل ما يملكان، وراحا يتلاعبا بالبورصة من خلال رفع رأس المال بشهادات مزورة، وهي الوسيلة التي يلجأ إليها كثير من رجال الأعمال المحتالين.

وبعد فترة تنبهت هيئه سوق المال إلى ما يفعلونه فتم القبض على أحلام ووضعت أموالها وممتلكاتها تحت التحفظ، في حين كان الشاب قد هرب للخارج بعد أن حول وهرب كل أمواله.

وحكت أحلام في التحقيقات عما كانت تقوم به بمساعدة سيادة النائب وأنها على علاقة معه، وكتبت الصحف عن هذا الموضوع، وآثار الصحفيون حول النائب الزوابع والعواصف وطالبوا برفع الحصانة عنه والتحقيق معه.

واستدعاه رئيس مجلس الشعب وسأله عن ما كتبته الصحف وطلب منه الرد على ما كتب عنه، فأجابه: أرى يا سيدي الرئيس أن هذا الأمر فيه تعريض لأسمي في صورة علانية، فقال له الرئيس: أنا لا تعنيني العلانية أو عدمها وإنما تعنيني الشفافية أمام الرأي العام، أنت ممثل عن الشعب تدافع عنه فكيف تسكت عن اتهام مثل هذا، فقال سيدي الرئيس: هناك مشاكل مع كثيرين بسبب حقوق دائرتي وحزبي، تدفعاني لخلافات مع مؤسسات كثيرة بالدولة وهم بالطبع يردون علي بهذا الأسلوب، الرئيس: لذالك ستدافع عن نفسك أمام المجلس وسأطلب منك غداً الرد على ذلك في الجلسة.

وفي اليوم التالي طلب الكلمة في البرلمان ووافق الرئيس فتحدث قائلاً:

ذكرت إحدى الصحف خبراً فيه اسمي، وينص أنني على علاقة غير شرعية مع امرأة متهمه بقضايا أموال عامه وأنني شريك معها، أولاً هذا موضوع غير صحيح ووراءه خصوم سياسيون، ما كنت أظن أن الخصومة السياسية تصل إلى هذا الحد من الإسفاف والانحطاط حتى تنال من أعراض الناس، فهذه التهم أنا برئ منها وليس لي علاقة بها وأنني أطلب يا سيادة الرئيس قبل أن يُطلب مني بعد إذنكم أن تُشكل لجنة وترفع عني الحصانة ويحقق معي رسمياً في هذا الموضوع، لأن اللائحة تقول: أنه لا يجوز للعضو أن يتنازل عن حصانته أو يدلي بأي أقوال إلا بعد إخطار المجلس وإستئذانه، لذلك أستأذن سيادتكم أني بعد إنتهاء الجلسة سأتوجه إلى النائب العام لتحرير بلاغاً ضد الصحف التي نشرت هذا الموضوع دون التحقق أو التريث، وسأقيم دعوى ضد هذه السيدة بتهمه الإدعاء الكاذب وسأطلب التعويض على حقوقي بسلطة القانون.

وفي اليوم الثاني كانت النيابة قد طلبت إستجوابه بعد أن رُفعت عنه الحصانة.

وكيل النيابة: سيادة النائب من المقبول أن أجد اسمك في طلب إحاطة ساخن، أو استجواب خطير لأحد الوزراء، أو على رأس المتنازعين على رأس حزب معارض، ومن غير المعقول أن أجد اسمك في قضية آداب لما يعرف عنك من أخلاق، ومن غير المقبول أن أجد اسمك في أوراق خاصة برجال أعمال سرقوا أموال عامه وهربوا خارج مصر، وأنك على علاقة بهم بشكل أو بأخر.

هناك سيدة القي القبض عليها بتهمه نصب وتحايل وسرقه أموال عامه وتهم في قضايا أخرى، وفي التحقيقات ذكرت اسمك وانك على علاقة غير شرعية معها منذ سنوات.

النائب: ما اسم هذه السيدة.

وكيل النيابة: أحلام.

النائب: لا أعرف أي سيدة بهذا الاسم، ولا علاقة لي بمثل هذه الأمور التافهة وأعتقد أنها محاوله لتشويه سمعتي وما أكثر خصومي.

وكيل النيابة: لكنها تتدعي أنها تعرفك جيداً وقد كانت تعمل سكرتيرة لك منذ سنوات.

النائب: كما قلت لك لا أعرفها ولم تعمل لدي، ثم أين الدليل أنها كانت سكرتيرة لي.

وكيل النيابة: هناك محامي وعضو مجلس الشعب، ومعروف في أنك على خلاف معه يؤكد هذا، وقد طلبته أحلام للدفاع عنها.

النائب: الصورة واضحة، هو الذي على علاقة بها، ومؤكد أنها ضغطت عليه ليدافع عنها حتى لا تفضحه في التحقيقات، ثم أنا ليس لي خلافات مع أحد ولا أعتقد أن يصل الإسفاف بالناس إلى هذا الحد بأن يتهمونهم في أعراضهم وأنا ضد هذه السلوكيات الغير شرعية ولا محترمه، ثم إن المتهم بريء حتى تثبت إدانته، خاصة إن كان رجل يعمل في العمل السياسي وله مواقفه في البرلمان وخلافات داخل حزبه.

وكيل النيابة: لكن هذه السيدة أعطت عنوان الشقة التي ادعت أنكم كنتم تلتقيان فيها، وثبت أن هذه الشقة ملك لك. ويسمعه العنوان.

النائب: إن عنوان هذه الشقة هو المكان الذي عشت فيه مع زوجتي في بداية زواجنا في المنطقة التي نشأت وترعرعت فيها

منذ طفولتي، وفيها أقاربي ومعارفي وجيراني الذين يعرفون من أنا ويفخرون بي من قبل أن أكون عضواً لمجلس الشعب، فهل من المعقول أن أذهب بها إلى هذا المكان.

وكيل النيابة: منذ أسبوع قدمت في مجلس الشعب استجوابات فهل تعتقد أن هناك علاقة بين من قدمت ضدهم الاستجوابات وبين هذه السيدة.

النائب: لا أوجه اتهاماً لأحد، وعندما أقوم بذلك لابد من وجود دليل ثم من قدمت ضدهم الاستجوابات أكبر من أن يفعلوا تلك الأفعال.

وكيل النيابة: سيادة النائب عندي سؤال لا علاقة له بالتحقيق فهل تسمح لي بطرحه.

النائب: بكل سرور تفضل.

وكيل النيابة: إذا كانت الجهات التي قدمت ضدها الاستجوابات وراء هذه القضية التي تثار حولك فرضاً، فرضاً هل ستسحب استجواباتك؟.

النائب: لن أسحبها وسأظل أحارب الفساد مادمت على قيد الحياة.

وكيل النيابة: شكراً سيادة النائب.

وهكذا انتهى التحقيق وأقفل لعدم ثبوت أي شيء عن النائب، ولعدم وجود دليل واحد ضده.

ولأن ملفه نظيف لم يترك ثغرة أو أي خطأ صغير يدينه.

وعاد إلى مجلسه وشركاته وكأن شيئاً لم يكن.

وكان الشاب عشيق أحلام في الخارج يتمتع بالأموال التي هربها، ودخلت أحلام السجن بعد الحكم عليها، وفي السجن استقبلتها السجينات وهم يحسدونها على جمالها، فابتسمت وهى تلعن في سرها ذلك الجمال الذي انتهى بها إلى هذا المكان المظلم.

* * *

رجل واحد لا يكفي

في العام الأول بالجامعة توفيت أمها بعد صراع طويل مع المرض، والدنيا التي كانت تضحك لهم انقلبت عليهم ، وكشرت لهم عن أنيابها، وأرملة والدها الكبيرة أنه تكبد خسائر كثيرة بسبب مصاريف علاج أمها، والتي استدان لها بشيكات بدون رصيد، فكانت هي هدفاً لكل ما جرى بين والدها ومدينه، فقد أقام الأخير دعاوي ضد أبيها، حتى حصل على أحكام قضائية بالسجن، وكانت المساومة عليها، الزواج منها مقابل التنازل، غير أن والدها أعلن الرفض القاطع بسبب فارق السن، فرأت الدموع في عين أبيها فلم تحتملها، وأمام طوفان الغدر وجبروت الانتهازي كان القبول.

رجل واحد لا يكفي

وبعد عقد القران تم التنازل عن الشيكات والقضايا، وخلال أيام زفت إليه، كانت ليلة زفافها مختلفة، في أكبر الفنادق وأرقاها، ومن داخل الغرفة التي أعطت ظهرها فيها لزوجها، تذكرت وسرحت بخيالها تعيد تجميع الصور والماضي، حتى أحست بكفيه تخلعان عن رأسها الطرحة، ثم بذراعيه تديران وجهها إليه، وانقض عليها كما ينقض النسر على فريسته.

وبعد الزواج، انتقلت لمنزله، قصر من أعرق القصور في حي راق، وتحولت إلى هانم، وزوجها لم يكن من النوع البخيل، فلم يبخل عليها بشيء، وبعد فترة قصيرة توفي والدها، تاركاً لها الذكريات والألم والحسرة والندم، وحملت من زوجها وبعد أشهر أنجبت طفلاً، فلم يعد يهمها شيء سوى طفلها، وأصبح كل شيء في حياتها، واستسلمت لقدرها مع زوجها.

وفي أحد الأيام أخبرها زوجها بأن له ابن أخ يعيش في أمريكا وأنه أنهى دراسته وسيعود ليعمل عنده، وسيعيش معهم، وحين وصول الشاب عَرفها زوجها على ابن أخيه، الذي سُر وأبدى إعجابه بها وبأنها ساحرة ويتمنى زوجة مثلها، فضحكت وشكرته، وكان الشاب مسدداً عينيه على ذراعيها العاريتان، وأحست بنظراته الجائعة، لكنها تاهت وهي تنظر إلى وجهه الجميل وجسمه القوي البنيان واستمر عمه بالحديث معه وما سيقوم به، وأنه يجب أن يعمل معه فهو محتاج له، كان يسأله وهو يطالع بعض أوراق العمل بينما الشاب يجيبه وعيونه مسمره على مفاتن زوجة عمه الجميلة، وكانت هي أيضاً تنظر إليه، وأحست بأنها تريد أن تبقى أمامه طوال عمرها.

وتسلم الشاب العمل، كان يظهر إخلاصه وتفانيه، فوثق به عمه وسلمه مقاليد كل شيء، حيث أصبح مديراً لشركاته والمتصرف بالمال في غيابه، وتقرب لزوجة عمه التي كانت تشعر بارتباك ورعشة ودقات زائدة في قلبها كلما التقت نظراتهما، حيث عرفت الحب معه ولم تكن قد أحبت من قبل، لم يعد يشغل بالها غيره فخياله يملأ

عليها وجدانها في كل لحظة، حيث أصبحا يحبان الجلوس والخروج معاً يمضون أجمل لحظات الحب، إلى أن جاء اليوم الذي صدق جسدها على مشاعرها نحوه.

في صباح أحد الأيام دخل الشاب المطبخ، وكانت هي فيه تعد الإفطار، رآها في ملابسها العارية، كان قميص النوم أسود شفاف يظهر من جسدها أكثر مما يخفيه، وكانت ساقيها الجميلتان مكشوفتان حتى الركبة ونظر إلى صدرها وذراعيها وكأنهم قد ازدادوا جمالا فوق جمالهم يوم رآهم، فتقدم نحوها وقال صباح الخير وردت هي بالإجابة فأخذ يدور بعينيه بين الشعر والعيون والرقبة والصدر، كما تدور النحلة بين الزهور، ولأول مرة تشعر هي باللذة وتدرك أنها امرأة جميله فاقترب منها قليلا وبلا وعي استسلمت لشفتيه وفجأة نادى عليه عمه ففتحت عيناها وتراجعت وخرج على عجل.

في إحدى الليالي عاد الشاب للمنزل بعد يوم طويل من العمل، وكان عمه مسافراً بضعة أيام في الخارج لإتمام صفقةٍ ما، ومر من أمام غرفة زوجة عمه، وكان الباب مفتوحاً، وكانت ترضع طفلها فوقف

يراقبها ويراقب ثديها الطري الغير متهدل وهي تضغط عليه بيد رقيقة ومثيرة.

فتنبهت له: منذ متى وأنت هنا.

من قليل، ثم تقدم نحوها وجلس لجانبها.

فقالت له بدلال: إن مظهرك الكلاسيكي وسلوكك الترددي ووقارك الشرقي أمام عمك، ما هو إلا ستار داكن تخفي خلفه عربيد متمرد يعشق الجنون والانطلاق في رحابه الحياة.

فأجابها: لكنك نسيتي شخصاً آخر في داخلي.

سألته: من هو.

فأجابها: ذلك الذي يقرر متى يظهر الوقور ومتى يظهر العربيد المتمرد.

فنهض وحمل منها رضيعها ووضعه في سريره، وعاد إليها ووقف أمامها، كان في صوتها الخافت، ونظرة عينيها المرفوعتين إليه شوق مفهوم، وهي تسأله ما بك، جلس تحت قدميها وفك شعرها الملموم

وتأملها بعينيه المفترستين، وحشيته محسوسة فهي ناعمة ومرغوبة، وكانت وديعة خاضعة كامنة الضراوة، فحملها إلى سريرها، فكان السرير يحملهما إلى شهوات لا شاطئ لها، حيث كان الطفل في سريره أمامهم، الحياء كان يتلاشى، بل لم يكن موجوداً أصلاً، حيث كان الشاب كالمخمور، فخمر شفاها عتيقة لاذعة الطعم وسلسة، وكان حنوها معه وشهوتها لا مقياس لهما، فانمحى العالم ومن في العالم من عقلها.

تكررت اللقاءات الخاصة في غفلة من العيون، وبدأت تنفر من زوجها، كانت تعتبر ابن أخيه زوجها الحقيقي، لقد أحبته من كل قلبها، كان تعلقها به يزداد يوماً بعد يوم، وكانت الغيرة تأكل قلبه هو كلما رآها مع عمه في حالة ود، وكان هذا يسبب بعض الخلافات بينهما، لكن العلاج الأكيد لهذا الداء يكمن في غرفة النوم، ففي هذا المكان تذوب كل الخلافات فبعض اللمسات الجميلة بمقدورها إضفاء مناخ رومانسي ملائم لحلول أكثر إيجابيه.

مع بداية شهر سبتمبر يبدأ الخريف بجوه المميز الذي يعشقه الكثيرون ويفضلون التصييف فيه وخصوصاً في الأيام الأخيرة للإجازة، رغم ميل

درجة الحرارة للاعتدال، لكن الرغبة هنا تعكس تفرداً ورومانسية، وفي يوم طلبت من زوجها وألحت عليه السفر لإحدى قراه السياحية على الساحل الشمالي، لتغيير الجو والتفريج عن النفس، حيث النسيم العليل والاستحمام في البحر، ومخالطة المصطافين وهي عارية متمتعة بحريتها دون رادع أو دين، وعرض العم على ابن أخيه السفر معهم فوافق.

وفي أيام الصيف وعلى البحر، تحدث مآسي وأحداث تعمل عملها المدمر في تخريب البيوت وانهيار الأخلاق والفضيلة.

كانت الزوجة لا تحسن السباحة، فطلبت من زوجها أن يعلمها لكنه أخبرها بأنه أيضاً لا يجيدها، وقال إن ابن أخي سباح ماهر فاطلبي منه ذلك، فأجاب الشاب بكل سرور فتطوع لتعليمها، فكانا يتركان الطفل مع أبيه على الشاطئ ويدخلان البحر ليتغازلان ويلعبان في مياهه، وكان الزوج في شغل شاغل عنهم، في لحوم البحر البشرية الكاسية العارية، وكان يبتعد عنهما ليلاقي من يلاقي بعيداً عن أنظارهم في حجة أنه ينزه الطفل، حيث كان ينشر شباكه متصيداً أعراض الناس تاركاً عرضه لابن أخيه الذئب.

في إحدى الجلسات الرومانسية عرض الشاب على زوجة عمه، التخلص منه نهائياً، وبعدها يخلو لهم الجو ويتزوجا.

فسألته: كيف ذلك.

سأغرقه ويكون هذا قضاءً وقدراً.

قالت: لكنه والد طفلي.

لا تنسي أنه هو من كان السبب في وفاة والدك، وبهذه الطريقة سنكون معاً دائماً ولن يعكر علينا أو نخاف من أحد.

فاتفقا على أن تتمارض هي في صباح اليوم التالي وتظل وطفلها في المنزل.

في صباح اليوم التالي خرج الزوج من غيرهما باكراً، وصاحبه الشاب إلى الشاطئ وكان خالياً من الناس والبحر هائجاً صاخباً، حيث كان الموج عالياً فاستدرجه الشاب للسباحة بعيداً عن الشاطئ، ثم تركه طعم للأمواج يستغيث حتى ابتلعته، وعاد بعد ساعة واحدة للمنزل ليعلنها أمام الخدم أن عمه غرق، وأنه حاول انتشاله حياً فباءت محاولته بالفشل، فسألته وهل ابتلع البحر جثته.

فأجابها باكياً لا، إنه الآن في المشفى.

وانتهت القصة على موته قضاءً وقدراً، وبعد مرور العدة تزوجا، ووعدها بمراعاة أموال وممتلكات وميراث طفلها، من أجلها ومن أجل حبهما، وهي كذلك وعدته بأن قلبها لن يكون لغيره، وقالت كنت أخشى أن يعلم أحداً أن قلبي ملك لشخص غير عمك، لكن الآن لن أخشى من أحد، فقد تحررت بإرادتي وأصبح الأمر بيدي وكان الفضل لك.

وتركت له مقاليد التصرف في إدارة الشركات والممتلكات، فهو الذي يفهم في ذلك، وبعد مرور عامٍ واحدٍ تبدل الشاب، فأظهر تذمره منها وطفلها، وأصبح معها حاضراً كالغائب، يحضر للمنزل في آخر الليل.

وبعد فترة لم تعد تراه كثيراً، فقد بدأ يتغيب عن المنزل بالأيام، فتقصت وراءه وعلمت بأنه تزوج من غيرها، وأنه اشترى منزلاً فاخراً، فذهبت إليه في مكتبه، وعاتبته على ما فعل، فتذمر منها وأجابها بأنه حر يفعل ما يشاء.

فقالت: ليس على حسابي أنا وطفلي.

فأجابها: إني على استعداد لترك إدارة الأموال وإنهاء كل شيء، حتى الطلاق لو رغبتي بذلك.

فقالت: أيها النذل السارق القاتل.

فأجابها: وأنت ماذا؟ أنسيت من أين أتى بكي عمي وأغدق عليكي بالنعيم الذي لم تكوني تحلمي به.

فأجابته لم أنسى ولكنني أنا السبب.

قبل أن تخرجي لا أريد أن أراك ثانية، أنتي طالق.

وتركها وترك الشركات بعد أن أسس لنفسه شركة ضخمة، وقد أمن نفسه قانونياً.

تذهب هي وابنها لقضاء بعض الأيام في القرية السياحية.

يقف المصطافون على رمل الشاطئ يودعون بحر اللحظات السعيدة، ويتواعدون مع أمواجه على اللقاء مع بداية الصيف القادم بعد سنة جميلة مليئة بالنجاح وتحقيق الآمال.

وتقف هي على نفس الشاطئ الذي غرق فيه زوجها، وتتذكر الذكريات الجميلة وتحزن على حالها.

وهكذا كانت نهاية زوجها والد طفلها لما فعله بأبيها وغيره.

وهكذا عاقبها الله في الدنيا بطلاق الشاب لها، وعقاب الآخرة لم يأتي بعد.

والشاب لم يحن عقابه بعد، فإن الله يمهل ولا يهمل.

* * *

الخديعة

بعد أسبوع من وفاة الدبلوماسي، جلست أرملته وفاء مع أبنائها وائل ووليد وريهام يتناقشون للتخطيط لاستكمال حياتهم بعد فقدانهم للأب، قال وائل البالغ من عمره السادسة والعشرين: ستبقى حياتنا كما هي أنا وأخي في عملنا وأختي في مدرستها، وأنتي أمنا التي لا نستغني عنها.

الخديعة

فقالت الأم: لكنني اشتقت لمصر ولأهلي، فرد وليد من الممكن أن تقومي أنتي وأختي بزيارة، الأم: أود أن نعود ونستقر هناك.

الأبناء في صوت واحد، مصر. وماذا نصنع هناك؟

الأم: والدكم ترك لنا ثروة ضخمة ومن الممكن إقامة المشاريع هناك والاستعانة بخالكم.

الأبناء: ولكن أنتي تعلمين يا أمي بأننا نعمل في وظائف جيدة ونريد أن نمضي حياتنا هنا، لقد عشنا هنا أكثر مما عشنا في مصر ولا نستطيع العودة للبقاء هناك، زيارة نعم، أن نستقر لا.

الأم: والدموع تترقرق في عينيها، لقد تعبت وأود أن أعود لموطني وذكرياتي، إذا أردتم البقاء فابقوا أنتم أما أنا فلا أستطيع.

وليد: كما تشائين يا أمي وإن اشتقتي لنا فما هي إلا بضع ساعات بالطائرة وتكوني عندنا.

الأم: وأنتي يا ريهام، أنا معكِ يا أمي فأنتِ تعلمين أني لا أستطيع البعد عنكِ كما أني اشتقت لمصر ولخالي وأبنائه كثيراً.

في مطار واشنطن عانقت وفاء أبنائها بحرارة وكذلك ريهام، وطلبت من أخوايها السؤال عنهما دائماً والتفكير مرة أخرى في مسألة العودة لمصر.

وسارت وفاء وابنتها بخطوات متثاقلة والدموع تنساب من عينيهما حتى استقلتا مقعديهما داخل الطائرة المتجهة إلى القاهرة.

مالت ريهام برأسها على كتف أمها ومسحت دموعها.

وقالت وفاء: يا ترى مصر أتغيرت؟ وتحكى لابنتها وتستعيد ذكريات الطفولة والشباب التي أمضتها في مصر حتى موعد زواجها من أبيها والسفر معه حيث عمله، وجاءت إجابة السؤال بمجرد وصول الطائرة التي تقلهما إلى مطار القاهرة الدولي، هبطتا والسعادة والحنين للماضي يسبق وفاء، وكان في المطار شقيقها الأصغر في استقبالهما، واستقلوا السيارة لبيت شقيقها، وفي الطريق كانت تتابع في زهو وفخر مصر وشوارعها ومبانيها واللمسات الساحرة التي أضيفت إليها.

وبعد فترة اشترت شقة لتقيم فيها هي وابنتها، وانتقلوا إليها، ومرت الشهور وانطفأ الشعور الجامح بالحنين لمصر في قلب وفاء، وأحست بالأيام تتسرب من بين يديها بلا فائدة، يوماً وراء يوم شعرت بالملل يتسلل إلى حياتها، حتى النادي الذي كانت تقضى فيه أوقات فراغها أصبح بالنسبة لها أيضاً مملاً، فالجلوس مع عضوات النادي مليء بالنميمة، فبدأت الجلوس على جهاز الكمبيوتر في المنزل، وأصبحت مدمنة للنت حيث وجدت في ذلك الملاذ الذي يخفف عنها، حتى تعرفت على شخص من ضمن أصدقاء النت وقررا أن يتلاقيا، وقد كان.

داخل النادي وعلى إحدى طاولاته جلست وفاء والصديق يحكيان عن تفاصيل حياتهما، فأخبرها بأنه رجل أعمال وأنه يبلغ ستين عاماً وأرمل وليس لديه أبناء، وهي شكت له من الوحدة التي تعيشها منذ عودتها، وأخبرته أن عمرها خمسون عاماً فقاطعها قائلاً: لكن جمالك وأنوثتك لا يزالان بحيوية الثلاثينات، فشكرته خجلاً وتابعت حديثها، رحلة زواجي بدأت قبل سبعة وعشرين عاماً، وحينها

كنت في ريعان الشباب والتألق وكان زواجي تقليدياً، وكنت أنتمي لأسرة ثرية وهو كذلك بالإضافة إلى أنه يعمل في السلك الدبلوماسي، وأقمنا في البداية في شقة عائلته، ثم سافرنا إلى أمريكا حتى وفاة زوجي.

قال: وراء كل عظيم امرأة تحمي ظهره وتدفعه دفعاً بهذا النجاح.

قالت: ولكن في تداعيات التفوق المتلاحقة ووسط مشاغل الحياة، ينسى الرجل أن يوجه لهذه السيدة صاحبة الفضل كلمة شكر، وكان زوجي من هذا النوع.

فأمطرها بكلماته الساحرة التي أيقظت أنوثتها، وقال لها: إن شخصيتك المحترمة تفرض على الجميع احترامك وجمالك الذي تحتفظي به مسار إعجابي.

وعندما عادت للمنزل ظلت صورته عالقة بذهنها وظل صوته يرن في أذنها، وفي ذلك اليوم لم تنم وفاء وظلت ساهرة في فراشها تستعيد نظرات هذا الرجل الوسيم الوقور، فأمسكت بالهاتف واتصلت بزوجة شقيقها.

زوجه أخيها: سألتها ما الأمر، أرى أن هناك شيئاً ما تخفينه عني لا تخجلي واحك لي ألسنا صديقتين؟ فلم تجد حرجاً في أن تخبرها، وأخبرتها عن القصة من أولها، وحكت لها عن مشاعرها التي أيقظها فجأة فضحكت وقالت: وماذا إذن يا وفاء أنت مثل القمر، وردت وفاء في خجل معقول في مثل هذا السن أنا لا أصدق.

زوجه الشقيق: الحب ليس له معاد ثم انك لست كبيرة لهذه الدرجة، وهناك نساء اكبر منك ويتزوجون.

وبعد أن أغلقت الهاتف، عادت لشرودها مرة أخرى، تستعيد لقاءها بالرجل ونظراته التي فجرت بداخلها هذا الشعور الذي نسيته منذ سنين.

وفي اليوم الثاني تقابلا في النادي، وعندما صافحها وتلامست يداهما شعرت بحرارة تسري في جسدها، وسرعان ما سرت بداخلها مع مسرى الدم، وشعرت أن الحياة توقفت عند تلك اللمسة من يده، وأطلعته على ثروتها، وإنها تبحث عن مشروع لتنميها فيه، وطلبت منه أن يرى لها المشروع المناسب، أو أن يقبل جزء من أموالها ليستثمرها

لها في مشاريعه، وارتبطا ببعضهما وأصبحا لا يمر يوم إلا ويلتقيان ويتبادلان عبارات الحب، وبعد فترة قررا أن يتوجا قصة حبيهما بالزواج فطلبت منه الترتيب أولاً لذلك، حتى تُطلع ابنتها وتجهز له مقابلة أخيها.

وعندما جاء الليل، وكانت كعادتها على النت، دخلت عليها ابنتها، ماذا تفعلين يا أمي، هكذا سألتها ابنتها وهي تراها جالسه أمام جهاز الكمبيوتر، وكانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بقليل، ارتبكت وأغلقت الجهاز، ونهضت بخجل ماذا ستقول لها ومن أين تبدأ، هل تقول لها إنها انتهزت فرصه نومها لكي تنشغل بهوايتها المفضلة التي أخفتها عنها والتي أصبحت تمارسها يومياً.

جاء صوتها مرتجفا متعلثماً: كنت أحاول تنظيف الجهاز فتعثرت يدي في المفتاح فانفتح.

لقد كذبت وشعرت ابنتها بذلك، وسألتها في رقه وحنان، في هذا الوقت المتأخر من الليل يا أمي تنظفين، لا عليك يا ابنتي فربة المنزل تقوم بواجباتها في أي وقت ولا تعرف الليل من النهار.

لا يا أمي هناك شيئًا ما تخفينه عني.

أنتي لا تعرفين يا ابنتي مدى عذابي، إذا جاء الليل واضطررت إلى دخول الفراش، حينئذ آخذ في التقلب يميناً ويساراً وأنا أستجدي النوم فيتمنع علي ويجافيني، وأظل مسهدة العينين أحدق في سقف الحجرة المظلمة، وقد سكن كل شيء حولي بعد أن تغلقي حجرتك عليكي لتنامي، هل جربتي الشعور بالاكتئاب لا بالطبع، فأنت ما زلتي على أعتاب الشباب والمستقبل أمامك.

أشعر بأنه لم يعد لي دور في الحياة، ولم يعد فيها ما يبهجني أو يثير حماسي فأنتي مشغولة بدراستك وأصدقائك وهناك أخواك مشغولان بعمليهما وحياتيهما لا يتذكرانا إلا في المناسبات.

لا تقولي هذا يا أمي أنت تعلمين مدى انشغالهما، أما أنا فأنت كل شيء لي، ثم أنك ما زلتي في ريعان شبابك، وأن هناك فرصة للزواج مرة أخرى، فدهشت الأم وقالت: زواج؟ ما هذا الكلام الذي تقولينه؟ أتزوج.

الابنة: ولما لا، أمي أنا أعرف كل شيء.

الأم: كل شيء؟ عن أي شيء تتحدثين.

الابنة افتحي لي قلبك.

الأم: حسناً.

أنتي تعرفين يا ابنتي أنه لا يمكن أن أتخلى عنك حتى ولو تخليتي أنت عني، أنت لكي حياتك المستقلة عني، أصدقاؤك وكتبك ومدرستك وهواياتك وكل ما فعلته يا ابنتي أنني حاولت أن أشغل وقت فراغي بشيء مفيد حتى يمكن لي مواصلة الحياة.

ففي إحدى الليالي وكان النوم قد استعصى علي فيها، كالعادة جاءتني فكرة أن أجلس أمام الكمبيوتر، ودخلت على (غرفة الدردشة) شبكة الإنترنت فوجدت رجال ونساء يتوقون إلى التواصل مع آخرين، نساء وحيدات مثلي، وشباب مثلك كلهم يطلبون صداقات.

الابنة: ماذا لو أرسل لكي البعض بعبارات لا تليق.

الأم: بسيطة أقطع الاتصال ويستبعد من قائمة الأصدقاء.

ولم تشأ أن تخبرها أنها استبعدت الكثيرين.

وتعود للحديث، وكنا نحكي لبعضنا عن حياتنا وكنت عبر الإنترنت أجوب أنحاء العالم كله وأنا جالسة ببيتي.

الابنة: وكيف تكشفين عن شخصيتك أمام هؤلاء الغرباء، أنت أسمى من ذلك يا أمي.

الأم: كنت أستخدم اسماً مستعاراً.

لم تشأ أن تخبرها بما حدث بعد أن كشفت لهم في البداية وأرسلت لهم صورتها شعرت بالخجل لو ذكرت لها هذه الأشياء.

الابنة: مع من تتراسلين؟ وأي حوار هذا الذي يدور بينكم؟

مع الكثير من الشباب المثقف الذي يعاني البطالة، تصوري أن بعضهم يطلب مني أن أتوسط له في الالتحاق بأي عمل فأجيبهم بأن ليس في يدي أن أفعل شيء سوى تقديم النصح لهم، مؤكدة أنني يكفى أن أكون أماً وأختاً لهم أتابع خطاهم وأوجههم إلى الطريق السليم.

الابنة: تتحدثين فقط مع الشباب عن هذا.

الأم في تردد: ومع من يطلبون الزواج – بصراحة انهالت علي عروض كثيرة للزواج، وأخبرت ابنتها عن الموضوع، وسألتها الابنة إذا تزوجتي فهل ستهملينني.

الأم: عندما يخرج المولود من أمه إلى النور تنسى كل ما عانته من آلام في فترة الحمل والولادة، وتتحول آلامها إلى فرحة وسعادة وعاطفة جياشة ومقدرة غير طبيعية وإحساس لا يمكن وصفه، فإن غريزة الأمومة تكون في البنات منذ طفولتها فالبنت تلعب بلعبتها وتمارس معها أمومتها، وتحنو على الأطفال الأصغر منها وتكبر معها هذه الغريزة حتى تتزوج ويحدث الحمل، فعندما يتحرك الجنين في بطنها تحتضنه بأحشائها بمنتهى الحب، ويشعر الجنين أيضاً بأمه وبكل ما تتعرض له من توتر وانفعال.

فأنت وأخواك بالنسبة لي كل حياتي، فكيف لي أن أنسى أو أهمل أحداً منكم.

وفي صباح اليوم التالي، دق جرس الباب، وكان الطارق هو، ذكر للابنة اسمه فرحبت به ودعته للدخول، ففوجئت وفاء به يقف أمامها

داخل منزلها، فرقص قلبها بين الضلوع، ولكن سرعان ما تنبهت لوجود ابنتها، تمنت أن تنشق الأرض وتبتلعها من فرط خجلها وارتبكت بشدة، نهضت من مكانها، ثم عادت لتجلس مرة أخرى، أحمر وجهها وسرعان ما حاولت إخفاء سعادتها، ابتسمت ابنتها وهمست في أذنها، هذا هو العريس، فلم تدر كيف ترد، أغمضت عينيها وأشارت برأسها بأنه هو.

وتزوجا وسافرا إلى الغردقة وقضيا عشرة أيام بين أحضان الطبيعة الساحرة، وكانت تشعر بأنها ولدت من جديد بعد أن تجاوزت الخمسين واعتقدت أن سعادتها انتهت فإذا بها تشعر بأنها فتاة لم تتجاوز العشرين.

عرض عليها أن يشتريا قطعة أرض بقيمة مليون جنيه وينتظران لعام أو عامين ثم يبيعانها بمبلغ أكبر فوافقت على الفور، وقدمت له المال من غير أن تأخذ عليه إيصالاً، وبعد أن اشترى الأرض طلب منها الذهاب معه للشهر العقاري لتسجيل العقد، ولكنها قالت: قم أنت بذلك فليس هناك فرق بيني وبينك.

وبعد فترة اكتشفت وفاء أن زوجها قام بسحب مليون جنيه من رصيدها، حيث إنها كانت قد أعطته توكيل عام بذلك، وكان هذا المليون الثاني غير الأول التي أعطته إياه من أجل الأرض.

وكانت المفاجأة حين سألته عن ذلك، فأجابها بأنه فعل ذلك وأنه كان بالإمكان أن يسحب أكثر لكن ضميره لم يسمح له بذلك، وأنه قرر أن ينهي زواجهما، فكانت الصدمة فوق قدرة الاحتمال بعد أن تأكدت أن زوجها مجرد نصاب سلب أموالها بعد أن خطف قلبها.

وقدمت شكوى ضده لكن القانون لا يحمي المغفلين، وانتهت قصتها بطلاقها من النصاب.

وجلست طريحة الفراش من أثر الصدمة، وإلى جانبها ابنتها وشقيقها وزوجته يواسونها ويشدون من أزرها.

وقالت ابنتها لا تغضبي ولا تحزني يا أمي كل شيء فداكِ المال لا يهم، المهم صحتك أنتِ، واستأذن أخوها وزوجته بالانصراف وشد على يدها قائلاً لله الأمر من قبل ومن بعد، وهمس في أذنها لا تكوني ضعيفة وتستسلمي للصدمة، عليكِ أن تنسي وتنتبهي لصحتك.

وفجأة يرن جرس المحمول وتفتح وفاء الخط لتجد وائل ابنها يسألها؟ كيف حالكم يا أمي، وترد بصوت حزين الحمد لله، ولكن صرفت في عشرة أشهر اثنان مليون جنيه.

* * *

قصة حبيبين

كان يعمــل إلى جانب أبيه وهو يدرس في الثانوية العامة، حيث كان أبوه مراكبياً ينقل الركاب من المعادي إلى ضفة جزيرة الذهب والعكس.

قصة حبيبين

وذات صباح من أيام الجمعة جاءته فتاة مع أمها، جميله الطلعة رقيقه وجذابة، نقلهما إلى الجانب الأخر من النهر فتحرك قلبه إلى الفتاة من أول نظرة ولأول مرة في حياته، فلم يبق له الفقر وإعالة أبويه وأشقائه قلباً يخفق، حتى ظن أن قلبه أصيب بالشلل، فلا تحركه المشاعر بقدر ما يحركه الجهد لكسب لقمة العيش والظاهر أن دقات قلبه حركت قلب الفتاة، فبادلته النظرات وعندما وصلت الضفة الأخرى حيته بابتسامه مشرقه جعلت قلبه ينهار لوعة وحباً، وبعد ساعتين كانت الصدفة الجميلة تجمعهم من جديد، فقد كان الشاب على ضفة الجزيرة وعندما لمح الفتاة وأمها عائدتان جرى نحوهما، ليرحب بهما ويدعوهما بالركوب معه، وعندما وصلوا إلى ناحية المعادي تعقبهما خلسة وكانت الفتاة تلتفت إليه كلما استطاعت، ومع التفاتتها ابتسامه مشجعه حتى وصلت هي

وأمها إلى العمارة التي يسكنون بها، فدخلتاها والتفتت وحيته قبل أن تصعد لمنزلها.

وبمرور الوقت عرف أنها تصحب أمها كل صباح يوم جمعه من كل أسبوع، فأخذ ينتظر قدومهما وينقلهما إلى الجانب الآخر وينتظر عودتهما ليعيدهما، وفي كل مرة تمتطي الفتاة وأمها قاربه ذهاباً وإياباً، يرفض أن يتقاضى الأجر، فتأبى الأم إلا أن تدفع، وفي إحدى المرات سألته الأم عن اسمه فقال يوسف وحين وصلتا وقبل أن تغادر حيته، همس في أذن الفتاه منتهزاً فرصة مغادرة أمها القارب أولاً قائلاً: وأنت ما اسمك، فقالت المرة القادمة سأجيبك ومضت.

وبعد فترة بدأت الدراسة في الجامعة، ودخلها يوسف وفي أول يوم له فيها صعق، فقد كانت فتاته في نفس قسمه، ومن البداية سألها أنتي إذن زميله لي في الجامعة، وبما أننا زملاء فهل لي أن اعرف اسمك، فأجابته حنان وأخبرته عن سر مجيئهم كل أسبوع للجزيرة، بأن هناك قريبه لأمها تسكن فيها وتواظب أمها على زيارتها لصلة الرحم، وأنها لم تكن تحب أن تأتي كثيراً إلى يوم أن رأته، فواظبت على ذلك،

وتعجبت أمها لذلك بعد أن كانت ترفض الذهاب معها، وهو أخبرها عن حياته وأنه يساعد والده في عمله ليعول الأسرة وأنهم من سكان الجزيرة، وهكذا بدأت بينهم الصداقة تتوطد وبدأت الفتاه تبادله شعور الحب، وكبر الحب بينهما حتى أصبحا لا يستطيعان البعد عن بعضهما.

وكان في الجامعة أستاذاً وقوراً اسمه باهر، كان محبوباً للجميع من طلبه وعاملين وأساتذة، كان الأستاذ باهر يصلي إماماً بالطلبة في مسجد الجامعة، وكان يحب الطلبة ويعتبرهم أبنائه ويستمع لشكواهم وطلباتهم ويعينهم عليها، فيعين الفقير ويقضي حاجة المحتاج، ويواسي الحزين، ويُأزر الضعيف، ويدفع الظلم عن المظلوم، ويبتسم للجميع لا يفرق بين ابن وزير ولا ابن غفير، وكان يمضي الوقت الكثير في سماع طلبات الطلبة، وإن كان لطالب مشكله مع شئون الطلبة فإنه لا يستمع عذراً ولا يقبل معتذراً من موظفي الشئون حتى ينهي مشكلة الطالب، كان حين يخرج من الجامعة يجد على بابها الكثير من الطلبة الذين عندهم سيارات فإذا رأوه عرضوا عليه أن يوصلوه، فيركب مع من يكون هو في نفس طريقه حيث كان يسكن في المنيل.

وتقرب منه يوسف وأصبح لا يستطيع الابتعاد عنه، وكان يوسف قد قص عليه مشكلته بعد أن رأى الأستاذ الحزن في عينيه، وكان له سنداً ليصبر، كان يوسف يزوره بمكتبه في الجامعة للاستفادة من علمه وتقواه، وما زاره يوماً إلا وتعلم منه شيئاً جديداً، وكان يأتي له لمساعدته فيقول له المعلم، لا أريد أن أعطلك، ولم يكن يعلم بأن يوسف يأتي إليه قاصداً الدفء من حكاياته.

اشترى والد حنان لها سيارة جميله بمناسبة عيد ميلادها فذهبت بها للجامعة ولم تخبر يوسف عنها، وعند خروجهما سبقته للخارج وانتظرته أمام موقف السيارات حتى جاءها، وقالت له أنظر لتلك السيارة كم هي جميله، وكم أود أن أركبها إن صاحبها ترك فيها المفتاح، فهيا خذني بها لنزهه قصيرة، فقال لها هكذا نكون سارقين، قالت نحن لم نسرقها سنركبها حتى نهاية الشارع فقط ونعود بها ونتركها، يوسف: فماذا إذا رآنا صاحبها، فتوسلت له من أجل خاطرها، إن كان يحبها فليفعل، فوافق على مضض، وقال اركبي يا مجنونة بسرعة حتى نهاية الشارع فقط ونعود، فاستقلاها حتى نهاية الشارع، وقبل أن يعودا

ضحكت بشده وقالت هذه سيارتي، لقد اشتراها لي والدي، ما رأيك في المفاجأة، فرد عليها بغضب، هكذا تكون المفاجآت، حنان: لا تغضب أردت فقط ممازحتك، يوسف: ليس بهذه الطريقة، حنان: آسفة.

قدم لها خاتم بمناسبة عيد ميلادها، فقالت: ذوقك جميل هذه أغلى هديه في حياتي، وتضع الخاتم في إصبعها وتقلبه حيث جعلت الفص للأسفل، فقال لها، أهكذا يلبس الخاتم، فأجابته أريد أن البسه هكذا كأنه خاتم خطبتي.

وتصمت قليلاً ثم تقول: أريدك أن تتقدم لأهلي كي تخطبني.

يوسف: لكن هذا الوقت غير مناسب.

حنان: لما، يوسف: لا أستطيع إلا بعد أن أتخرج وأحسن من مستواي، فأهلك لن يقبلونني.

حنان: أنت تقدم فقط وأترك هذا الأمر لي.

طلب يوسف من والديه أن يتقدما لخطبة الفتاة، ولكن الأب رفض لأنهم سوف يرفضونه، وقال هناك فرق شاسع بيننا، والدها من

أكبر التجار، ووالدك مراكبي فلا تحرج نفسك وتحرجنا يا بني، أنهى تعليمك أولاً ثم سيأتي الفرج إن شاء الله.

كان قلب الأم والأب مع ولديهما، لكن عقلاهما كانا بعيدين عنه، فقد كانت هناك أسباب كثيرة تحول بين زواجه منها، تلك الليلة دخلت الأم حجرة ابنها، فوجدته يائس حزين فجلست أمامه تبكي وتتوسل إليه بأن لا يحزن من أجل خاطرها فضاحكها حتى هدأت، وهمس لها بحنان أبيع الدنيا والبنات الجميلات من أجلك، الأم: يا بني أنت لا تقدر على نسيان حبيبتك ونحن لا نستطيع تحقيق حلمك، فلا المكان يسمح، ولا الذي يكسبه والدك، ولا أجر عملي، ولا ما تدخره من عملك يكفي مصاريف تعليمك ومصاريف إخوتك.

وفي إحدى الأيام دعا الأستاذ باهر يوسف وحنان للغداء معه في منزله، ولم يقبل منهم أي اعتذار، فقالت حنان إنها لا تستطيع لأن والدها طلب منها أن تمر عليه في محلاته في العتبة، بعد أن تخرج من الجامعة لأمرٍ ما، فسألها الأستاذ بعدها ستعودين للمنزل فقالت نعم، الأستاذ: إذن نذهب معك فعندنا شيء سنفعله بالقرب من العتبة،

سننزل هناك وأنتي تذهبين لأبيكِ وبعد أن تنتهين من مقابلته، نتقابل في مكانٍ نتفق عليه ونذهب معاً للبيت ولن أقبل عذراً، فسأله يوسف إلى أين سنذهب فقال الأستاذ هي ذاهبة للعتبة والحسين قريب من هناك وسيدنا الحسين نادانا فضحكوا جميعاً وانطلقوا إلى هناك.

ودخلوا المسجد وكان عامراً بالرجال القادمين من مختلف مدن وقرى مصر، وقال الأستاذ ليوسف إن اليوم هو مولد سيدنا الحسين فتوضئا وصليا وقرءا الفاتحة لروحه، وجلسوا بعدها بجوار الحجرة التي تضم جسد سيد شباب الشهداء صبت أعظم خلق الله – صلى الله عليه وسلم – وكان الأستاذ باهر خاشعاً يتلو ورداً من الأدعية، وعندما خرجا من باب المسجد أخذ الأستاذ باهر يفرق الجنيهات على الفقراء الموجودين حول المسجد حتى نفذت، وكان قد طلب من حنان وهم ذاهبون أن تمر على محطة الوقود، وفك منها خمسين جنيهاً كلها جنيهات، وبعد أن خرجوا من المسجد رأى الأستاذ حلقه من الرجال جالسين وأمامهم خبز ولحم ومرق، فأخذ بيد يوسف، وجلس ضمن الحلقة فأخذ الرجال يفسحون مكاناً لهما، وأكل الأستاذ بضع

لقيمات، وأمر يوسف بأن يأكل، وقال له كل فإنها نفحه من النفحات، فأكل يوسف أيضاً بضع لقيمات ثم نهضا واتجها إلى الشارع، ومن أمام مدخل مسجد الأزهر ركبا مع حنان السيارة حيث كان اللقاء في هذا المكان، وفي السيارة سأل يوسف عن هذه الناس، فأجابه باهر بأنه في مولد سيدنا الحسين يأتي الناس بالأطعمة للذين يفترشون أرض المسجد وخارجه من الذين أتوا من شتى مدن مصر وقراها، وتسمى هذه الأطعمة بالنفحات يتشاركون بها التجار والأهالي في الحسين لكي يعبرون عن فرحتهم ومشاركتهم بالاحتفال، يوسف: ظننت يا أستاذ بأنك ستعزمنا على الغداء هنا، فضحكوا جميعاً.

وفي منزله استقبلتهم زوجته مرحبة، وكانت تنتظر مجيئهم حيث كان زوجها قد أخبرها بالهاتف أنه سيأتي ومعه ضيوف، وكان منزله متواضعاً وبسيطاً، لكنه كان شديد النظافة والترتيب، ولم يلبثوا قليلاً حتى كان الغداء جاهزاً، وجلسوا على المائدة وأعجبوا من نفاسة طهي الطعام وترتيبه على المائدة، وبعد أن فرغا من الطعام، قاموا إلى حجرة الاستقبال، وأخذوا يجذبون أطراف الحديث

وجاءتهم بالشاي، وأخذت تكمل حديثها معهم حيث إنها تعرفت عليهم وكانت سيدة جميلة الوجه والحديث وشديدة الطيبة، فكانت لهم بمثابة الأم وكانوا لها بمثابة الأبناء، وقال الأستاذ باهر هذه السيدة لا أستطيع الاستغناء عنها وعن طبخها، فإني أحبها بجنون، كما تحب أنت حنان بجنون، فهل تعرفان من أين أتت هذه العبارة، فقالوا: لا، فأخبرهما بأنه سمع قصة تروى، بأنه في قديم الزمان حيث لم يكن على الأرض بشر، كانت الفضائل والرذائل تطوفان العالم معاً، وتشعر بالملل الشديد، وذات يوم وكحل لمشكلة الملل المستعصية، اقترح الإبداع لعبة وأسماها الاستغمايه، فأحب الجميع الفكرة وصرخ الجنون أريد أن أبدأ، أنا من سيغمض عينيه ويبدأ العد وأنتم عليكم الاختفاء مباشرةً، ثم اتكأ بمرفقيه على شجرة ما وبدأ العد، وبدأت الفضائل والرذائل بالاختباء، فوجدت الرقة مكاناً لنفسها فوق القمر، وأخفت الخيانة نفسها في القمامة، واختفى الولع بين الغيوم، ومضى الشوق تحت الأرض، وقال الكذب بصوت عالي سأخفي نفسي خلف الصخور، ثم توجه للبحيرة وغِطس فيها، استمر الجنون في العد سبعه ثمانية، خلال ذلك أتمت كل الفضائل

والرذائل اختباءها ما عدا الحب كعادته لم يكن صاحب قرار، وبالتالي لم يقرر أين يختفي، فنحن نعلم كم هو صعب إخفاء الحب، وتابع الجنون تسعه، وعندما وصل إلى عشرة قفز الحب وسط الورود واختفى فيها، فتح الجنون عينيه وبدأ البحث صائحاً أنا آتٍ إليكم، كان الكسل أول من انكشف لأنه لم يبذل أي جهد في إخفاء نفسه، ثم ظهرت الرقة المختفية وراء القمر، وبعدها خرج الكذب من قاع البحيرة مقطوع النفس، ونادى على الشوق أن يرجع من تحت الأرض، وجدهم الجنون جميعاً واحداً تلو الآخر ما عدا الحب، كاد الجنون أن يُصاب بالإحباط واليأس في بحثه عن الحب، حينها اقترب منه الحسد وهمس في أذنه، الحب مختفي بين الورود، فالتقط الجنون شوكه وبدأ في طعن الورود بشكل طائش، ولم يتوقف إلا عندما سمع صوت بكاء يمزق القلوب، فظهر الحب وهو يحجب عينيه بيديه والدم يقطر من بين أصابعه، صاح الجنون نادماً، يا إلهي ماذا فعلت، فسأل الحب ماذا أفعل كي أصلح خطأي بعد أن أفقدتك البصر؟ أجابه الحب لن تستطيع إعادة النظر لي لكن لا زال هناك ما تستطيع فعله لأجلي، كن دليلي.

وهذا ما كان من يومها، يمضي الحب أعمى يقوده الجنون، لذلك يقال أحبك بجنون.

وعندما هموا بالانصراف، رفضت الزوجة أن يخرجوا حتى تقدم لهم الفاكهة، ونهضت مسرعة وقالت: (على بال ما تصلوا العصر ها كون أنا وحنان جهزنا طبق الفاكهة) وجاءت به بعد أن صلوا العصر جماعة.

وبعد أن غادرا منزل الأستاذ، أخبرته عن سبب زيارتها لمحل أبيها، حيث هناك من تقدم لخطبتها، وأراد والدها أن تراه، هو شاب ثري، فوالده تاجر ممن لهم معاملات مع والدها، ولكنها أخبرت والدها أنها لا تفكر الآن إلا في دراستها، وطالبته بالإسراع ليتقدم لوالدها، لكنه أجابها أنه ليس مستعداً الآن، وأنه سيحاول أن يتصرف.

سألتها أمها عن سبب رفضها عرض الزواج، فقالت أنها مرتبطة عاطفياً وأطلعتها على قصة حبها، وعن هوية الحبيب، فقالت أمها بأن هذا ليس حباً خاصة أن صاحبه لا تسانده ظروف مناسبة للارتباط.

وبعد فترة بدأت الخلافات بينها وبين أمها وأبيها بسبب يوسف وطلبوا منها أن تقارن بين مستواه وبين مستوى الشاب الذي تقدم لخطبتها، فذكرتها أمها بأنه الشخص المناسب لها، حيث إنه من مستواهم، لكنها لم تكن تعير لكلامهم اهتمام.

ويأس الفتى من الزواج بفتاته التي أحبها من كل قلبه، فقد وجد أهلها على درجة من الغنى والثراء، وهو معدم وفقير، وعندما علمت أمها لم تعد تصحبها معها، وهي لم تعد تأتي سوى مره بالشهر، ولم يعد الفتى ينتظرهم في كل أسبوع.

ومرت سنوات الدراسة واقترب موعد التخرج، وكان حلمهم كحلم أي حبيبين، أن يجمعهما الزواج السعيد، ولكن مع الأيام بدأت مواجهتهم للواقع، وازداد مع كل يوم إحساسهم بابتعاد المسافة بين الحلم والواقع، فهو بعد التخرج أمامه مشوار طويل، البحث عن عمل وتكوين نفسه الذي يتطلب سنوات أخرى.

وجاء يوم التقت فيه حنان بيوسف وخرجا معاً، كانا معاً في السينما، يشاهدان عرضاً لفيلم شهير، الشاب يقف على مقدمة

السفينة ويحيط حبيبته بذراعيه وقلبه وعينيه، ويستدعيان الكون والنسيم ليشهدا على حبهما، قبل أن يطويهما الموج في أعماقه، وبعد أن خرجا اتجها نحو النيل وقابلهم بائع الأزهار فأشترى لها زهرة ووضعها في شعرها.

كان الليل في أوله والضوء ينساب في خفوت ويصنع ظلالاً شاحبة، ولسعة الخريف تدعو إلى التماس الدفء، امتدت يد يوسف وامسك بكف حنان وراحا ينظران إلى النيل ويسمعان همسه، وبدا لهما كأنه ينصت لإرتعاشات قلبهما، وحنان تسمع دقات قلبه وهي على صدره، ويوسف يجاهد أن يسمع دقات قلبها، يعلم أنها تحبه، ويدركان عجزهما عن حماية حبهما.

حنان: ماذا ستفعل لقد ضجرت من كثرة إلحاح أبي وأمي لقبول العريس الثري «وأنت واقف مكانك تتفرج»

يوسف: ليس بيدي شيء استطيع فعله فهذا هو قدرنا وقصة حبنا ستنتهي بالفشل، ليس أمامنا إلا الرضوخ للواقع، ولا تلقي اللوم علي فأنتي تعرفين الحقيقة والظروف.

استلت حنان كفها من بطن يده وتنهدت، أنفاسها حملت صهداً كالحريق، فنظر إليها، ونزعت الزهرة من شعرها وخطت نحو النيل وألقت بها، والتفتت إليه وقالت لا تتبعني، ومضت.

بقي هو في مقعده ساكناً مبهوتاً، وراحت عيناه تراقبان النيل، وشق الماء قارباً ماراً فتماوج، كانت الزهرة تتماوج مع الموج تغيب وتظهر، فتخيلها حبيبته، حين تغيب: يشعر بأن روحه تنسحب منه، وحين تظهر: تعود له، وشدت نظره وهي تقاوم الموج كأنها تتحداه، وظل يراقب المشهد، وبكى حين رأى الموج يطوي في قبضته زهرته الجميلة، كأنه يعتصرها عصراً حتى اختفت، وتألم أن يكون للماء مثل هذه القبضة القاسية، وكما تغرق الأحلام اغرق النيل حلمه.

وافقت حنان على خطبة الشاب الثري وتم هذا سريعاً، وأصبحت لاترى يوسف حيث ابتعدا عن بعضهما، وكان هذا يحزن الأستاذ باهر، حيث كان يتمنى أن يتوج حبهما بالزواج، ولكن يوسف لم ينساها يوماً، وإن ابتعد عنها فهذا من أجل سمعتها.

ثم انتهت الدراسة ونجح يوسف وكان الأول على دفعته، وأهله ذلك لترشيح الجامعة له لبعثه للخارج لدراسة الماجستير لمدة عامان وقد تم هذا.

وفي الغربة وكل هذا البعد السحيق، أمه، أبوه، أخوته، حنان، باهر، تفصل بينه وبينهم محيطات، لكنها لا تستطيع مهما تلاطمت أمواجها أن تقطع ما بينهم، كان ذا شوق جارف إلى شوارع مصر وأهلها المتزاحمين المتصارعين على لقمه العيش، شوق تعجز الكلمات عن وصفه، حتى تعجب من نفسه كيف يضيق من النظام ويحن للفوضى، كيف مل من الهدوء واشتاق إلى الزحام والضجيج، سأل زملائه إن كان الحنين للوطن يراودهم، أم أن هذه البلاد أنستهم بلادهم فوجد أن معظمهم كانوا أكثر حنينا منه إلى أوطانهم، فأدرك أنها الفطرة تشد الإنسان لجذوره ومنبته، وأنه من لا ينتابه مثل هذا الحنين لا يكون منتمياً للوطن، ولكن لم يكن منهم واحد غير منتمٍ لبلده الكل يقدس وطنه ويراه أجمل الأوطان، ويتعصب لثقافته وحضارته، فأسرع لكتابه الرسائل للأهل والأستاذ فليس أجمل من هذا الشعور الذي أحسه في تلك اللحظات.

وطول مدة سفره خارج مصر في البعثة كانت الرسائل بينه وبين الأستاذ باهر لا تنقطع وكان شوقه إليه في كل يوم يزداد.

وبعد فتره لم تستطع حنان أن تنسى يوسف ففسخت خطبتها من الشاب، وعلم الأستاذ بذلك وقرر أن يعيد الماء إلى مجراه، فأرسل ليوسف قائلاً: أُعلمك بأن حنان قد تحررت، وأصبحت طليقه كالطير الصغير الذي يتعلم الطيران، ويجب أن تكون بجوارها حتى لا تسقط من أول محاوله لها، يجب أن تتمسك بها حتى لا تتعثر، وطلب منه أن يبادر بمراسلتها فكانت رسالته لها.

لا أستطيع أن أهديكِ كل الحب وكل الأماني، ولا استطيع أن أفعل شيئاً وأنا بعيد عنكِ سوى أن أخط لكِ بيدي رسالة، ستكون رسولي الذي يحمل لكِ كل الأشواق التي في قلبي.

وتجيبه حنان برسالة: لا أخفي عليك أنني منذ البداية كنت أتصور أن حبك سيزول من قلبي مع مرور الأيام، كنت أتصوره مطراً سيتوقف وينقطع لكنه كان سيولاً أغرقتني، مازال ذلك الحب في قلبي وذكراه تحيطني، لو كان لقلبي لسان لتكلم وأفشى ما بداخله

من أسرار، أسرار تكشف حبنا وأحلامنا التي كانت مثل الشراع، وحبنا السفينة التي أبحرت داخل بحر الحياة ولكن رياح القدر كانت أقوى من كل شيء، وسقط الشراع وتاهت السفينة، فأين أنت لتمحو اثر ما كان لتعلن من جديد انك تحبني.

ومضت مدة الدراسة سريعاً، وبدأ يوسف يستعد للعودة فقد بقي أشهر قليلة ليناقش رسالة الماجستير، وفي آخر رسالة وصلته من الأستاذ باهر قص عليه فيه حلماً: رأيت في نومي شيخاً جليلاً يشع من وجهه النور وعليه علامة الورع والتقوى وقال لي: يا باهر لقد تعبت كثيراً وأنت بحاجة إلى راحة في مكانٍ مريحٍ، فتعالى واستقر بجانبي، وسأكون في عونك حين ما تحتاجني، وكنت لا أعرفه ولم يسبق لي رؤيته، فسألته بأدبٍ شديد من أنت، فأجاب: الإمام الشافعي، فاستيقظت من نومي مستبشراً بهذه الرؤية.

وبعد فترة انقطع الرد من الأستاذ باهر على رسائل يوسف، فسأل حنان عنه، فمن مدة طويلة لم تصله أي رسالة منه، فأجابته حنان: أنه لم يعد لقلبه الكبير مكاناً يسعه على وجه هذه الأرض.

وبعد أن أنهى يوسف الرسالة، وحصل على درجة الماجستير، عاد إلى مصر، وكانت حنان في استقباله، ثم طلب منها أن تأخذه لزيارة قبر الأستاذ.

أخبرته بأن عائلة الأستاذ لم تكن تملك مدفن، فطلبت من زوجته أن يدفن في مدفن عائلتها، وذهل يوسف حين وقف أمام قبره، حيث وجد القبر ملاصقاً لمسجد الإمام الشافعي، لا يفصله عن الضريح سوى جدار المسجد، فقال: لقد صدقت رؤيته، فسألته حنان: أي رؤية، فأخبرها، وقرأا له الفاتحة.

وقبل أن ينصرفا، قال يوسف لحنان، إن ما كان يجمعنا هو الحب والأستاذ باهر، والأستاذ باهر قد رحمه الله، أما انتي فإنني لن أتركك بعد اليوم مهما حدث، وأخذا بيدا بعضهما البعض.

* * *

في مدرسة اللغات

أنا كريم: اسمحوا لي أن أقدم لكم فصل من فصول حياتي، ومرحلة من مراحل عملي، في مدرسة اللغات التي عملت بها سكرتيراً للمديرة الإدارية، وإليكم القصة.

في مدرسة اللغات

المدرسة مبنى مؤلف من دور أرضي وطابقين، محاطه بحديقة جميلة، ولها باحة كبيرة فيها ملاعب وحمام سباحة، ومسجد لم أره مفتوحاً يوماً من الأيام، وداخل المدرسة فصول كثيرة،دهنت حوائطها بأجمل الألوان، ولكل فصل جهاز تكييف خاص به، والفصل الواحد فيه أربعة عشر أو خمسة عشر طالب فقط، لكل واحد منهم طاولة خاصة به ومقعد مريح، وفيها مكتبه كبيرة مليئة بالكتب والمراجع التي لا يهتم بها أحد من الطلاب، وغرفة فيها عدد لا بأس به من أحدث أجهزة الكمبيوتر، وقاعة عرض سينمائي على أحدث طراز للدروس الهامة على أشكال من الأفلام التسجيلية، حيث كان الطلاب يأخذون مفتاحها مني بحجة أنهم يريدون مشاهدة بعض الدروس، وفي مرة من المرات دخلت عليهم فوجدتهم يشاهدون فيلماً خليعاً، فغضبت منهم، ومن يومها لم أعطهم المفتاح إلا إذا كان معهم أحد مدرسيهم،

وتوجد أيضاً صالة للجمانزيوم بها عدد من الأجهزة الرياضية، وطاولة بلياردو وبينج بونج، وأرض المدرسة من الداخل من الرخام، وحماماتها من السيراميك، وهي على أعلى مستوى من النظافة، وتوجد أيضاً أجهزة لمياه الشرب المثلجة، وهناك غرفة خاصة بالمدرسين للتدخين فيها، وبها ثلاجة يضعون فيها ما يأتون به من أطعمة، وفي المدرسة أيضاً مطعم (كانتين) به طاولات مخصصة ليأكل عليها الطلبة، وإلى جانبه مكان مخصص به خزانات خاصة بالطلبة.

وغالبية المدرسين أمريكيين الجنسية، ما عدا الإدارة فهم مصريو الجنسية، وإن نظام المنهج التعليمي بالمدرسة أمريكي، وذلك يكفل للطلبة بعد إنهاء المرحلة الثانوية الالتحاق بالجامعات الأمريكية.

واسمحوا لي أن أعرفكم بأبطال القصة:

المدرسون: د. «دينس» هو مدير المدرسة يحب النظام تراه دائماً يتجول في باحة المدرسة ليتفقد أحوال النظام والطلبة.

ميس «ليندا» هي نائبة المدير وزوجته، تحب النظام أيضاً ودائمة المرح.

ميس «سوزي» هي المديرة التربوية، حازمة وقوية الشخصية مع الطلبة، ومرحة ولطيفة مع المدرسين، وهي سمينة الجسم يهابها الطلبة ويخافونها أكثر من د. دينس، في أحد المرات حاول الطلبة تخويفها فوضعوا لها تحت مكتبها ثعبان كبير لكنه غير سام، وعندما رأته أمسكت به وأطبقت على عنقه حتى مات، ولم يبدو عليها أي خوف أو رهبة.

مستر «فورد» هو مدرس العلوم، وهو كبير في السن، لكنه رياضي ورشيق دائم المرح والرقص، ويقول أنا راقص الروك، يملأ جو المدرسة بالبهجة والسعادة.

مستر «رون» هو مدرس الجغرافيا، أنيق دائماً يحب النظام جداً، ويحب أن يكون الطلبة معه أثناء الدرس في حالة تركيز، يخرج من فصله ويخلع رباطة عنقه ويخفيها، ثم يعود ويسأل الطلبة هل هناك شيء مختلف ليرى قوة ملاحظتهم وتركيزهم.

مستر «أندي» هو مدرس إنجليزي ومصري الأصل، لكنه حاصل على الجنسية الأمريكية، شخصيته قوية، وهو المدرس الوحيد الذي

يستطيع السيطرة على الطلبة، حيث إنه محبوب للجميع، ويحرصون على الحضور لحصته أكثر من أي مدرس آخر.

مستر «جون» هو مدرس الموسيقى، مرح لكنه أحياناً يكون حزيناً جالساً مع نفسه ممسكاً بجيتاره يعزف عليه ويغني، عنده إحساس جيد جداً وصوت رائع وعذب نشأت صداقة بينه وبين كريم، حيث كان جون يعلم كريم الإنجليزية، والعكس يعلمه كريم العربية، ولكن جون كان يجد صعوبة في فهم اللغة العربية، حيث كان كريم يعلمه بالفصحى، وجون يستمع للآخرين إلى نفس المعنى ولكن بالعامية.

مس «ريم» وهي مدرسة التاريخ، ومصرية الجنسية، وهى خريجة آداب قسم حضارة وتاريخ أوروبي، ولأنها تعمل في المدرسة استطاعت أن تدخل ابنتها مايا فيها.

مستر «حسين» وهو مدرس اللغة العربية، وهو رجل طيب وابن بلد وعلى خلق.

مدام «سهام» وهي المديرة الإدارية.

مستر «كريم» سكرتير المديرة الإدارية مسئولاً عن الأمن ودفاتر حضور وانصراف المدرسين، ودفاتر تفقد الطلبة، وسيارات نقلهم.

مستر «ياسين» هو مسئول العلاقات العامة، وهو جار لكريم، وهو أيضاً الذي رشح كريم سكرتيراً لمدام سهام.

الطلبة: معظمهم من أبناء المسئولين والفنانين وكبار رجال الأعمال والمال، منهم عمرو وعبد الرحمن وهم أبناء أحد كبار نجومنا العظماء فوالداهما فنانان معتزلان، عمرو الأكبر وهو في الثالثة من المرحلة الثانوية، وهو هادئ ودائم النصح لأصدقائه، يشبه والده الفنان في الشكل، ويشبه أمه في طريقة الكلام، وعبد الرحمن في الثالثة من المرحلة الإعدادية، مشاكس وخفيف الدم يجتمع حوله أكبر عدد من الفتيات، فهو يحمل خفة ظل والده، وجمال وشكل والدته.

«دينا» ابنة أحد أكبر مطربينا العظماء، وهي في الثالثة من المرحلة الثانوية، مرتبطة بعلاقة حب مع زميل لها وهو طه ابن صاحب أكبر مصنع للمنتجات الغذائية، وهو مشاغب وحاد التصرف، كان يعاملها بقسوة ودائم الإهانة لها، وبالرغم من ذلك فهي تحبه ولا تستطيع الابتعاد عنه.

«هند» ابنة فنانة من جيل الوسط، وهي في الصف الأول الثانوي.

«معتز» وشهرته توزا، وهو في الثالثة من المرحلة الثانوية، والده صاحب أكبر سلسلة محلات سوبر ماركت، وهو هادئ ودائم التفكير.

«هاني» ابن أحد المسئولين في الدولة، ومعه أخوان أصغر منه في نفس المدرسة، وقد طرده أحد المدرسين لشدة شغبه، ولم تستطع «سهام» فصله من الدراسة لأنه إن فُصل سيترك هو وأخويه المدرسة، وبالطبع هذا سيؤثر على الناحية المالية لصاحبها، فغياب طالب واحد لا يؤثر، إنما ثلاثة طلاب سيؤثر، حيث أن مصاريف الدراسة تساوي مبلغ كبير.

ويشكل كل من طه وعمرو وتوزا ثلاثي (ثري فرندس)

في البداية كان الطلبة يكرهون كريم، لأنهم يعتبرونه يؤثر على حريتهم، حيث كان يمنعهم من الاختلاء بصديقاتهم، ويتدخل في حواراتهم وطريقة حركاتهم الغير أدبية، ولكن سرعان ما تغير شعورهم تجاهه، حيث تقرب كريم إليهم، واعتبروه صديقاً لهم.

وقعت هند في غرام كريم، حيث كان إنساناً عطوفاً وطيباً، كان يأخذ بيدها ويسأل دائماً عن أحوالها ويشجعها على الدراسة، وقد

ارتاحت إليه لدرجة أنها كانت تحكي له عن مشاكلها وعن إهمال أمها الفنانة لها، ولأول مرة تجد من يسمع لشكواها ويصغي إلى متاعبها، ويشجعها على الدراسة، ومع مرور الوقت وجدت نفسها تفكر كثيراً في كريم وتنتظر الليل بطوله في قلق حتى يشرق يوم جديد لتراه، وكانت أحياناً تختلق الحجج لكي تذهب إليه في مكتبه، ثم تطورت المسألة وأصبحت تراه حبيب وفتى أحلامها، وأصبحت تعيش على أمل أن يبادلها الحب، وفي يوم كتبت له رسالة اعترفت فيها بعاطفتها نحوه، وأنها تتمناه حبيباً وأنه فارس أحلامها الذي ستحبه للأبد.

وقالت في رسالتها: أبعث إليك حبي وأشواقي الحارة، فلا تتعجب ربما تقول في نفسك الآن كيف لفتاة أن توجه كلاماً لأستاذها بهذه الجرأة، أعرف ذلك جيداً ولكن صدقني تلك هي المشاعر الصادرة من قلبي الذي يحبك ويتمنى أن تبادله نفس الشعور، كثيراً ما عاتبت نفسي، كيف أحب أستاذي، وكيف خدعني قلبي، وكانت الإجابة، أحبك ولست أدري كيف حدث ذلك ومتى، ولكن هذا هو الذي حدث، كم تمنيت وأنا أجلس بجوارك ولا يفصلني عنكِ شيء

ولا حتى نسيم الهواء الذي تتنفسه بأن أبقى بجانبك للأبد، إن كل مرة أجلس فيها معك وأنا أحكي لك عن مشاكلي وأنت تخفف عني وتنصحني، أظل أنظر في عينيك، ولا أستطيع استيعاب أي شيء مما تقول فيبيت ذهني شارداً وعقلي سابحاً في عالمك، فأنظر إلى وجهك وأحلم بأنك تخبرني بأنك تبادلني نفس الشعور، أرجو ألا تسخر مني عندما تقرأ رسالتي، فهي نابعة من إحساس صادق وشعور بالعاطفة إليك، صديقاتي يقولون أنني جميلة ولو أردت أن أجذب أي شاب نحوي لفعلت ذلك بسهولة، ولكن لم يعجبني شاب غيرك فأرجوك يا من ملكت فؤادي لا تسخر مني، فاشعر بقلبي وإن لم تشعر فيكفيني أن أكون قريبة منك.

ودست الرسالة في دفتر الحضور والانصراف وتركته على مكتبه، وظلت تراقب رد فعله طول اليوم، متصورة أنه سيشعر بمشاعرها تجاهه، لكن ردت فعله هدمت كل أحلامها، فقد استدعها إلى مكتبه في الاستراحة الفاصلة بين الحصة والأخرى، فبدلاً من أن يعاملها بذوق كعادته، ألقى بدفتر الحضور والانصراف في وجهها، وقال لها لقد

ضاق صدري بغبائك وعدم قدرتك على الفهم، من فضلك لا تدخلي مكتبي مرة أخرى ومع السلامة.

وفي منزلها كانت هند تبكي، فسألتها مربيتها عن سر بكائها فأخبرتها وقالت لا أعرف ما الخطأ الذي ارتكبته في حقه حتى يثور علي، وهل الحب حرام أو عيب حتى يعاملني بهذه القساوة، وماذا أفعل كي تعود علاقتي الطيبة به وتعود معاملته الرقيقة.

المربية: تحية لهذا الأستاذ الفاضل لأنه بموقفه هذا يعيد الثقة في أخلاق المدرسين، بعد أن كنا نسمع بعض القصص المؤسفة عن انحدار أخلاق بعض المدرسين في تعاملاتهم مع تلميذاتهن.

يا ابنتي هذا الأستاذ عاملك كواحدة من أخواته وأدخلك مكتبه حين شعر بأنك بحاجة للكلام معه عن مشاكلك، وحاول أن يعوضك عن دور الأسرة الذي تفتقدينه، لكنه حين اكتشف تفسيرك لمعاملته خطئاً، كان لابد أن يعاملك بعنف حتى تفيقي من أوهامك، وفي الواقع أن ما تشعرين به نحوه ليس إلا مشاعر المراهقة التي تعوضين بها حرمانك من وجود الأب أو الأخ لكي، وهروب من مشاكلك مع

أمك، ولكنك هكذا توقعين بنفسك في مشاكل جديدة، عليكِ أن تهتمي بدراستك حتى تتمكني من صناعة مستقبل ناجح لحياتك، عودي لمدرستك واعتذري له، وتعاملي مع أستاذك التعامل السليم كتلميذه، واحمدي الله أن هذا الشاب كان على خلق، حيث لم يستغل ظروفك وسذاجتك ومراهقتك، وتأكدي أنك سوف تخرجي من هذه التجربة التي تتصوريها مؤلمة أكثر نضجاً، وفي المستقبل ستتذكرينها وتضحكين مما فعلتي.

يابنتي: تعتبر فترة المراهقة من أكثر سنوات الشباب خطورة وأهمية، وذلك لأنهم يخضعون خلالها لمجموعة من المتغيرات النفسية والعقلية والجسمية بما ينعكس سلباً أو إيجاباً على طبيعة شخصياتهم وسلوكياتهم داخل الأسرة والمجتمع، ورغم هذه الأهمية إلا أن افتقاد الوعي الأسري بها، وكذلك خلو المناهج في مؤسساتنا التعليمية من أي موضوعات تتناول طبيعة هذه المرحلة السنية الحرجة، كذلك عدم توافر الضوابط التربوية اللازمة في كثير من هذه المؤسسات قد يدفع الشباب إلى منعطف خطير، فشباب هذه الأيام لهم منطق مغاير ورؤية

مختلفة للأمور، وسلوكيات قد تبدو للبعض شاذة أو غريبة، ومن هنا تظهر أهمية الحوار كأساس تبنى عليه طبيعة العلاقات بين الطالب وأسرته، أو في مدرسته، أو في داخل حوائط فصله، ويظهر أيضاً دور المعلم وتأثيره في مرحلة مهمة من تكوين شخصياتهم، وكذلك دور المشرف الاجتماعي إلى جانب أكثر الجوانب خطورة وهو «الأصدقاء» لذلك عليك أن تتفهمي موقف أستاذك وتعتذري له.

كان «دينس» ينزل للباحة في الاستراحة حيث يتجمع الطلاب ويدخنون، وحين يروه يطفئون السجائر، فينظر إلى أماكن جلوسهم فيجد أعقاب السجائر، وحين تنبهوا لذلك أصبحوا يرمون أعقابها خلف السور الحديدي الذي يفصل بين مدرستهم والقصر المجاور لها، فأصبح دينس لا يرى الأعقاب فتعجب لذلك حتى اكتشف الأمر حين جاء أصحاب القصر يشكون بأن التلاميذ يرمون القاذورات بحديقتهم.

كان الأستاذ «حسين» يفني نفسه كي يساعد هؤلاء الطلاب على تعلم لغتهم، حيث كان معظمهم لا يجيدون الكتابة باللغة العربية،

فقد كان حديثهم مع المدرسين باللغة الإنجليزية، وكانت كتاباتهم أيضاً بالإنجليزية، وإذا طُلب من أحدهم كتابة موضوع باللغة العربية فإنهم لا يعرفون سوى كتابة أسماءهم فقط، فكان يحزن من أجل ذلك، ويقول لهم أنها لغة القرآن ولغتكم ولغة آبائكم وأجدادكم.

كانت مادة اللغة العربية ليست مادة أساسية بل اختيارية، فعندما تأتي حصة العربي الكل يخرج إما للهو في حديقة المدرسة أو للعب في صالة الألعاب أو مشاهدة فيلم مع زملاء من فصل آخر، ولم يكن سوى فتاة واحدة ترغب فعلاً في تعلم لغتها وتطلب من الأستاذ حسين أن يعلمها لغتها وأيضاً يعلمها الصلاة، فكان يسعد كثيراً لذلك.

ونشأت صداقة بين الأستاذ حسين وكريم، فقد كان يدعوه للإفطار معه كل يوم ويقول إن المدام تعد لي الشطائر التي أحبها وتضعها لي بزيادة، وكان كريم عند الاستراحة في الظهر يرد له الدعوة فيقدم له العصير وقطع من الحلوى أو المعجنات الطازجة، فيقول حسين لماذا ترد لي الدعوة كل يوم؟ صدقني يا كريم أنا أحبك لله، وأحب أن أفطر معك كل يوم ولا أنتظر منك هذا، فيجيبه كريم، وأنا كذلك فإني لا

أكلف نفسي شيئاً، وتوطدت الصداقة بينهم، بالرغم من أنه يكبر كريم في السن، فهو من سن أولاده، لكنهم كانا على اتفاق تام، وكان كريم يطلب من حسين أن يصحح له كتاباته العربية، حيث كان من هوايات كريم الكتابة، فكان حسين يصحح له أخطائه ويشجعه على الاستمرار في الكتابة، وقال له في يومٍ، أريدك أن تكتب عن هذه المدرسة شيئاً، فأجابه كريم سأفعل إن شاء الله.

كان المدرس حسين يشكو لكريم من التلاميذ ويقول له إن في المدارس الحكومية مادة اللغة العربية أساسية، فلا يستطيع الطلاب الغياب عن حصتها، وأنه ضاق ذرعاً من تلك المدرسة، وفي العام المقبل سيعود للتدريس في المدارس الحكومية.

كانت المدرسة «ريم» على خلافات مع طليقها والد ابنتها مايا، التلميذة في الصف الأول الإعدادي، التي عمرها اثنتا عشرة سنة ومع ذلك تشعر بأنها أكبر من سنها، دائماً مهمومة وحزينة والسبب والدها، فمنذ أن وعت على الدنيا وهي تعيش في قلق وخوف منه، حيث كان دائماً على خلاف مع أمها، يضربها ويهينها أمام عينيها، مع أن أمها

سيدة طيبة جداً وإنسانة رقيقة وحساسة، إلا أن الطلاق كان بينهما ومايا في السادسة من عمرها، وهي تعيش الآن مع أمها في بيت جدها، وأمها هي التي تدفع مصاريف المدرسة من راتبها، لا تريد من الدنيا شيء سوى إسعاد ابنتها التي لا تتصور حياتها يوماً بدونها، فكم من رجال تقدموا للزواج منها ولكنها رفضت من أجل ابنتها، فكانت نهر الحب والحنان والأمان لها، وتعيش مايا مع أمها وجدها حياة هادئة جميلة لا يعكرها سوى تهديدات والدها الذي سوف يطلب ضمها إلى حضانته لأنها بلغت الثانية عشر من عمرها، وخلال الست سنوات الماضية لم تره سوى ثلاث أو أربع مرات.

وفي عيد ميلادها تلقت أمها عريضة دعوى، يطالب فيها والدها بضمها لحضانته، فبكت مايا وقالت لوالدتها: أهذه هي هدية أبي في عيد ميلادي، فأجابها جدها وطمأنها بأن الطفل يُسأل في المحكمة ويُخير مع من يريد أن يبقى؟

في أحد الأيام قرر الطلاب أن يقوموا باعتصام داخل المدرسة احتجاجاً على مقتل الشهيد الطفل أحمد الدرة، فاتفقوا على أن لا

يدخلوا الفصول في الصباح بعد جرس الدخول، وقاموا بإحراق العلمين الأمريكي والإسرائيلي، فقامت الإدارة بإخبار أولياء أمورهم، وفي هذه الأحداث ظهر شعور الطلبة بأنهم مهما كانوا على مستوٍ من اللامبالاة، فعندهم نزعة للعروبة مهما كانوا يأخذون من الثقافة الغربية، واتفقوا على أن يغيبوا في اليوم التالي، ولكن كريم تحاور معهم، وأقنعهم بأن ذلك ليس بمظهر حضاري أمام المدرسين، فإن البعض من الأمريكيين غير راضين عن سياسة بلادهم، وهم لا ذنب لهم كي يضايقونهم بإحراق علم بلادهم، فهو رمز لهم، ومهما حدث فهو سلوك غير حضاري.

في أحد الأيام طلب المدرس حسين من تلميذته وهي صديقة جداً للفتاة التي تطلب منه تعليمها اللغة والصلاة، أن تبقى لتحضر حصته، فسألته ولماذا؟

فأجابها: يا ابنتي إن صديقتك تحضر الحصة فلم لا تبقي معها لتستفيدي مثلها.

قالت: هي حرة، أما أنا فلا أريد أن أتعلم تلك اللغة، فقد عشت في بلاد أجنبية كثيرة، بحكم أن والدي يعمل دبلوماسياً في الخارجية،

وقد أعجبت بلغات تلك الشعوب وثقافاتهم، وسأعود لأعيش هناك مرة أخرى، فلا حاجة لي للغة العربية.

قال لها: يجب عليك أن تفخري بعروبتك ولغتك وتراثك، فإن العرب في يوم ما كانوا من أقوى الأمم، وأكثر الثقافات وأهل الحضارات التي أخذ الغرب منها، ثم لا تنسي أنك من أحفاد صلاح الدين الذي هزم الصليبيين وحرر القدس.

قالت: هذا لا يعنيني بشيء وانصرفت.

ومرت عدة أشهر وقضية والد مايا تتأجل، وكانت ريم خائفة ومضطربة، وكانت مايا تحلم كل يوم بأنها تجري، ووراءها والدها وزوجته الثانية يجرون خلفها.

ثم حدثت الكارثة عندما اتصل المحامي وأخبر ريم بأن الحكم قد صدر بضم مايا لوالدها، وكان في غاية الأسف، وأخبرها بأنه سيرفع دعوى استئناف للحكم.

وفي أحد الأيام بعد نهاية اليوم الدراسي، خرجت ريم ومعها مايا من باب المدرسة فكانت المفاجأة، حيث وجدوا والد مايا في انتظارهم

مع اثنان من رجال الأمن لتنفيذ حكم المحكمة، وطلب منها أن تأتي معه، فبكت ريم وأخذت تتوسل إليه بأن يتركها معها، لكنه رفض وطلب من رجال الأمن تنفيذ الحكم.

ما أفظع أن تنزع ابنه وهي تبكي وتصرخ من حضن الأم التي لم تعرف غيرها، لتوضع بين أياد لا تعرفها، حتى ولو كان أقرب الناس إليها، فإن طريقة تنفيذ أحكام الحضانة هكذا غير صحيحة ولا منطقية، كان يجب أن تتم بأسلوب التفاهم والإقناع، وليس بأسلوب القبض على الأطفال كأنهم مجرمون، فهذا يترك آثار مدمرة في نفسيتهم طيلة عمرهم.

لم تتصور مايا حياتها يوماً بعيدة عن أمها وجدها، وغرفتها وجيرانها والزهور التي زرعتها في شرفتها، ولم تطيق الحياة في منزل أبيها مع زوجته التي لا تحبها وتنظر إليها نظرات كلها استعلاء وكراهية، فكانت تتوسل لأبيها أن يعيدها لأمها، ولكن بلا جدوى، فقد كان يتركها فريسة لزوجته حين يخرج من البيت.

كان ياسين يصطحب كريم معه كل يوم إلى المدرسة بسيارته، ولا يتركه يذهب بالمواصلات، يذهبون معاً في الصباح، ويعودون معاً بعد

انتهاء ساعات العمل، وفي يوم بعد خروجهم من المدرسة، كان كريم مرافقاً لياسين بسيارته، فقال له ياسين ألديك مانع في الذهاب معي إلى مكان لمدة خمسة دقائق لأشتري شيئاً، والمكان ليس ببعيد فهو في طريقنا، ونذهب إلى المنزل، فأجابه كريم لا مانع، وفي العودة كان على الطريق كمين أمني، فوقفوا عند نقطة التفتيش، فطلب منهم الضابط النزول من السيارة، وأمر عساكره بتفتيشها، وكانت معاملتهم بطريقة غير آدمية.

كريم: ألا يوجد ذوق أكثر من ذلك في المعاملة.

فأمر الضابط عساكره بتفتيشهم تفتيشاً ذاتياً، فكانت المفاجأة حين أخرج أحد العساكر من جيب ياسين قطعة كبيرة من المواد المخدرة.

الضابط: ما رأيك في هذا الذوق؟

سكت كريم ولم ينطق من هول المفاجأة.

ياسين: هذه تخصني ولا علاقة لكريم بها.

الضابط: ما رأيكم أن أحولكم إلى قسم الشرطة الذي سيقوم هو بتحويلكم إلى النيابة لاتخاذ الإجراءات معكم، أو أن تتركوا المضبوطات وتذهبوا.

ياسين: هذا يكون من كرم أخلاقك وفضلك.

الضابط: وأنتم أكثر كرماً لأنكم ستتركون أيضاً هواتفكم المحمولة.

كريم: لكنني لا أملك محمولاً (وكان كريم صادق).

الضابط: إذاً ما في جيبك.

فأعطوه كل ما في حوزتهم من نقود ومحمول ياسين، وتركهم يرحلون.

كريم: كيف تضعني في مثل هذا الموقف، وكيف تجرؤ أن تحمل مثل هذه الممنوعات معك.

ياسين: أنا آسف، إن أخبرتك فلن تذهب معي.

كريم: الحمد لله أن الموضوع انتهى على ذلك.

تعجب كريم جداً من أسلوب الضابط وكيفية التصرف، فالمثل الذي يقول (حاميها حراميها) صحيح، ولكن طبعاً ليست أصابعك متشابهة، فكريم يعرف ضابط شرطة شريف ومتدين ومحترم، حيث إن الضابط رأى في أحد الأيام اثنان من أمناء الشرطة يستوقفون شاباً في الطريق ويضربونه، فتدخل وسألهم لماذا تضربونه وماذا فعل، فأجابوه لأنه كان يرد على أسئلتنا بطريقة استهتار، فسأل الشاب فأجابه بأنهم قاموا بسبي بكلمات بذيئة لا يصح أن يتفوه بها رجل أمن، فنهرهم الضابط، وطلب من الشاب الانصراف، وقال لهم أنتم محولون للتحقيق، حيث كان وكيلاً لمباحث المدينة، فمثل هذا الضابط يعطي مثالاً بأن الأمن والعدل موجودان.

وفي أحد الأيام دخل د. دينس مكتبه بعد أن قام بجولة تفقدية في المدرسة، فأكتشف أن هاتفه المحمول قد سرق، فقامت مدام سهام بالتحقيق في هذه الواقعة، وقررت طرد بعض موظفي الأمن، لكن كريم كان متأكداً من أمانتهم، حيث إنهم من الشباب المكافحين، فطلب من سهام التريث حتى تنتهي التحقيقات.

وفي صباح اليوم التالي كانت المفاجأة، حيث قامت سهام بالاتصال بشركة المحمول لمعرفة آخر المكالمات التي صدرت من المحمول، فأعطوها الأرقام التي تم الاتصال بها، حيث أن الغبي سارق المحمول قد اتصل بأحد أصدقاؤه منه، فقامت سهام بالاتصال بنفس الرقم وسألت إن كان يعرف أحداً من مدرسة اللغات، وذكرت له اسم المدرسة، فأجابها أنه صديق لياسين.

كانت مفاجأة للجميع وبالأخص لكريم، حيث لم يتوقع أن يكون الفاعل هو ياسين، فطلبت سهام من ياسين إعادة المحمول، وترك العمل، ولكن ياسين كان قد باعه ليشتري بثمنه ما يتعاطاه، فطلبت منه بأن يشتري محمولاً مثله وإعادته لصاحبه، أو الاتصال بالشرطة، وأعطته مهلة حتى صباح اليوم التالي.

وفي صباح اليوم التالي كان ياسين قد تصرف في بعض المال وقام بشراء المحمول وأعاده، ثم أمرت سهام كلاً من ياسين وكريم بترك عمليهما ومغادرة المدرسة، وكان جميع من في المدرسة قد علم بهذا الأمر، وكانوا ضد سهام في أن يترك كريم العمل، ولكن كريم فضل أن يترك العمل وعدم الوساطة له.

وحين خروجه من المدرسة كان الطلبة في وداعه لأنهم كانوا يحبونه ويعتبرونه أخاً لهم، ويعدونه في إيجاد عملاً له أفضل في شركات آبائهم، وفجأة ألح د. دينس ومس سوزي ومستر حسين، وتمسكوا بوجود كريم بينهم، وأجبروه آلا يترك المدرسة وقالوا له: كيف نخسرك ونعاقبك على ذنب غيرك، ففرح الطلاب وشكروا المدرسون.

* * *

صدر للمؤلف

الكتاب الأول:

رسائل شرقية «رسائل نثر»

الطبعة الأولى ٢٠٠٦ مكتبة مدبولي

الطبعة الثانية ٢٠٠٨ مكتبة مدبولي

الطبعة الثالثة ٢٠١٠ مكتبة مدبولي

الطبعة الرابعة ٢٠١٧ دار عابر للنشر

الكتاب الثاني:

جذور وفروع «مجموعة قصصية»

الطبعة الأولى ٢٠٠٧ مكتبة مدبولي

الطبعة الثانية ٢٠٠٩ مكتبة مدبولي

الطبعة الثالثة ٢٠١٧ دار عابر للنشر

الكتاب الثالث:

نقوش من نور «رواية»

الطبعة الأولى ٢٠٠٨ مكتبة مدبولي

الطبعة الثانية ٢٠٠٩ مكتبة مدبولي

الطبعة الثالثة ٢٠١٠ مكتبة مدبولي

الكتاب الرابع:

حنين الفؤاد «رواية»

طبعة أولى ٢٠٠٩ مكتبة مدبولي

الكتاب الخامس:

رنيم الطيور «رواية»

طبعة أولى ٢٠١٠ مكتبة مدبولي

قيد النشر:

مغامرات لوجي ويوري وعبودي «قصص أطفال»

ساق وأوراق «مجموعة قصصية»

توأما نجمة «رسائل شعرية»

المحتويات

إهداء ٥
مقـــــدمة ٧
العشيقة والنائب ١١
رجل واحد لا يكفي ٣١
الخديعة ٤٣
قصة حبيبين ٥٩
في مدرسة اللغات ٧٩
صدر للمؤلف ١٠٣